أشرف البعلوجي

إعداد/ يحيى إبراهيم السنوار

הספריה הלאומית
S 95 B 9137
السنوار، يحيى،
أشرف البعلوجي /
C.1
29808-10
FA

Al-Sanwar, Y: Ashraf

اقرأ في هذا الكتاب :

المقدمة

الفصل الأول :النشأة

الفصل الثاني:الشرارة والتمايز والوضوح

الفصل الثالث:الدم يطلب الدم

الفصل الرابع :ليل الزنازين طويل لقاء وأمل

خاتمة :اعتذار أخير

al-Sanwari, Y: Ashraf

اقرأ في هذا الكتاب :

المقدمة

الفصل الأول :النشأة

الفصل الثاني:الشرارة والتمايز والوضوح

الفصل الثالث:الدم يطلب الدم

الفصل الرابع :ليل الزنازين طويل لقاء وأمل

خاتمة :اعتذار أخير

S950 9137

بسم الله الرحمن الرحيم

" من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ".

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أهل الشام في رباط الى يوم القيامة " " وخير رباطكم عسقلان " وقال على لسان ربه مخاطبا الشام " يا شام أنت خيرتي من بلادي أسوق اليك صفوتي من عبادي "

" فرسان الحماس "

مقدمة الفرسان

الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بأن جعلنا مسلمين فشرفنا بالانتساب اليه سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على سيد خلق الله رفع اللواء لتحرير الانسان ولسيادة الحق على الأرض وسلمنا الراية من بعده لنلبي نداء الله الذي لبى من قبل " إنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " التوبة . وبعد :

فليس من بدع القول أن أدعي أن من دواعي الفخر والشرف أن أكتب هذه السلسلة مسجلا بها صفحة رائعة من صفحات ملحمة البطولة في معركة الحق المتصلة عبر التاريخ من لدن أدم عليه السلام وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .

نعم ان ذلك من دواعي فخري أن أتمكن من الكتابة في دفتر الجانب الذي أسجل فيه تاريخا وأصنع فيه توثيقا لهذه المرحلة الحرجة الصعبة من تاريخ هذه الأمة وهذا الشعب وهذه المقدسات فالحمد لله أن من علي بهذا الشرف العظيم حيث يسرني أن أعيش عن قرب أحداث هذه الملحمة العظمى شرف

عظيم هذا الذي حزت بأن تعرفت على هؤلاء الفرسان المغاوير الذين صاغتهم عقيدة الأنبياء التي إرتضى الله عز وجل لخلقه تعرفت عليهم عن قرب وعشت معهم لحظة بلحظة وعشت معهم الآلام والآمال عشت معهم الابتسام للغد المشرق بشمس الحرية وراية الحق خفاقة عالية نعم شرف وأي شرف أن يعيش المرء مع هؤلاء الفرسان الذين هاجموا الموت وطاردوه ولاحقوه في أحضانه ولم ينتظروه ليطاردهم ويلاحقهم في مضاجعهم وشرف وأي شرف أن أعيش قصص الفروسية هذه من أفواه الفرسان أنفسهم لأكون الأمين على نقلها لأحبتي على إمتداد الوطن النازف فلسطين أولا وعلى إمتداد الوطن الاسلامي الكبير ليعيش الأحبة صورا ونماذج من فدائيي الاسلام وأسود رسول الله صلى الله عليه وسلم فئة صارعت الموت وأراد الله عز وجل أن يخرجوا منتصرين شهداء أحياء يعيشون بين الناس يأكلون ويشربون ينامون ويقومون ولكنهم بحق وحقيقة شهداء نعم فقد سألوها بصدق بل وتقدموا لها بصدق وألقوا بأنفسهم في أحضانها التي تجدونها فيها لا محالة يابى الله عز وجل إلا أن يعطي من خلالهم الدرس الخالد الذي أدركه الصحب الكرام الأوائل " إحرص على الموت توهب لك الحياة " فسجلهم ربهم إن شاء الله تعالى شهداء وأبقاهم على قيد الحياة ليغيظوا عدو الله وعدوهم كلما ذكرهم ذاكر أو تغنى بهم حاد أو ترنم بأسمائهم للدرب سالك أليس من دواعي الشرف أن يتعرف المرء على مثل هذه الكوكبة من الفرسان وأن يعيش معهم ، أن يقبل أياديهم ورؤوسهم تلك التي أنتجت وأنتجت وتقدمت الى هذا الحد الذي لا يستطيعه صغار

النفوس ولا ضعاف الهمم والعزائم وقد قيل : على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم ، تقدموا لهذه الدرجة ولا زال أمدهم يرى نفسه مقصرا في حق دينه ووطنه وأمته أما أنا على يقين قاطع لا يراوده شك أن هذا شرف لي وفخر والحمد لله لم ينازعني فيه أحد فمن مثلي حاز الشرف الذي حزت بصحبة مثل هذه الطائفة والكتابة عنها والتسجيل لها ، وإن كنت في غمرة هذه المفخرة الغامرة والفرحة العارمة تطير بي المشاعر وتحلق بي النشوة فان ذلك لا يمكن أن ينسيني بحال من الأحوال وتحت أي ظرف حتى هذا الظرف ... لا ينسيني أن أذكر لأهل الفضل فضلهم وليس ذلك من بدع القول فمن الحق الذي لا غلو فيه أنه إذا ما ذكر الفارس أن يذكر أستاذه وإذا ما ذكر البطل أن يذكر صانع البطولة فيه من الحق الذي لا مراء فيه أن نقف وقفة إجلال لأستاذ الفرسان ومربيهم ورائدهم ورمزهم ومفجر الفروسية في صدورهم والبطولة في أفعالهم والحماس في أرواحهم والتطلع إلى المجد في أعماقهم الذي دفعهم فعلة الأسطورة لأن يطاردوا الموت يراودونه عن نفسه ذاك الشيخ المجاهد أحمد ياسين نعم فهو بحق ودون منازع رمز صورة الحياة التي دبت في نفوس هذا الشباب فتدفق العطاء يطارد الموت يراوده يصنع البطولات يسطر المجد بحروف من نور أو من نار أو قل بحروف من ألم أو من أمل أو بحروف من أحمد ياسين فهو الروح التي أفاضها الله علينا فجاءت حماسا يشعل النفوس لينقلها من ضحية المشروع الذي يراد به صناعة مجموعات

المرتزقة التي يريد بها اليهود أن يسيطروا على المنطقة ويسودوا العالم إلى طلائع لحرب التحرير الشامل ومقدمة لفرسان الحماس لمغاوير المجد لطلائع المجاهدين صناع الحياة عشاق الموت مرة أخرى يشرفني أن أسطر ملحمتي هذه فرسان الحماس لأسجل فيها وبحروف من أحمد ياسين أسطورة العصر قصص الفرسان المغاوير فرسان الحماس عامر أبو سرحان ، أشرف البعلوجي ، محمد أبو جلالة ، وياسر داود ، وغيرهم ممن ساروا على درب الفروسية هذا الطاهر الشريف ولي أمل ورجاء أن يسامحني هؤلاء الفرسان إن كنت على غير قصد مني قد بخست أحدهم حقه فلم أنزله قدره أو لم أستطع أن أعبر عن مشاعره التي أحس يوم تقدم فارسا مغوارا أو تجاوزت حدي بالكتابة عنه رغما عنه وقد أحب أن يموت جنديا مجهولا وفارسا ملثما لا يعرفه أحد فكتب وصيته بذلك وأبى الله عز وجل الا أن يميط اللثام عن وجهه وعلى رؤوس الأشهاد ولتبهر الأنظار وتخشع القلوب بصانعي المجد فتنظر نظرة التقدير والافتخار لفرسان الحماس وليهتف كل هذا التوحيد على إمتداد الوطن الاسلامي الكبير وقلوبهم تخفق فرحة ودموعهم منهمرة شوقا يهتفون وبصوت واحد :

فتيان أحمد أوقدوا نار الفدى ... بحجارة وبخنجر وزجاج نار
شامير أطرق صاغرا في ذلة ... وتعاظمت بحماسنا نور ونار
لو كان ينظر جيشه في رعبه ... لثم متاعه وارتحل أن إنفجار
لن يبق أخضر يابس يا ابن البلاد ... ستعود خيبر بل قريظة والفخار

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

ويأبى الله عز وجل إلا أن يميط اللثام عن وجهه وعلى رؤوس الأشهاد ولتبهر الأنظار وتخشع القلوب وتنظر الأبصار نظرة التقدير والافتخار بفرسان الحماس " فرسان الحماس الفارس أشرف حسن البعلوجي ١٩عام غزة .

المدخل غزة العراقة والتاريخ والفوهة ، وياط اللثام فاذا فارسنا هذه المرة شبل من غزة .. فهل سبق لك أن زرت غزة ؟ أو هل سبق لك أن عرفت شيئا عن غزة ؟!! ولو من قصص عجائزها ؟!! وهل أدركت يوما حقيقة أن مدينة غزة تمثل بوابة آسيا القارة العظمى على وجه الأرض فهي الحبل السري الذي يربط شطري العالم الاسلامي الآسيوي والأفريقي وأي مسافر يسلك الطريق البري أو البحري متنقلا عبر القارتين لابد وأن يمر بغزة أو أن يمر بمحاذاتها كحد أدنى وهى موئله إن أعوزته الظروف فاضطر إلى موئل ولا يغيب عن بالي أن كل الجيوش التي عبرت إحدى القارتين للأخرى على مدار التاريخ لابد وأن تمر في عبورها بمدينة غزة عروس آسيا فهى بوابة البوابة فلسطين !! وزيادة على كونها بوابة آسيا فهى بجدارة سرة العالم الاسلامي وقد إحتلت هذا الموقع من كونها بوابة آسيا فامتداد الاسلام العظيم في أفريقيا عبرها من غزة الساحل العروس الغناء وهي سرة السرة فلسطين ولعل حساسية موقعها بالنسبة للعالم الاسلامي هو الذي دفع الأعداء لدق ذاك الاسفين والخنجر المسموم في موضع السرة عن قصد

وتعمد ليتسنى فصل شطري العالم الاسلامي بسهولة بفعل تلك الطعنة الماكرة التي طاب لهم أن يسموها إسرائيل عبر هذه البوابة ومن خلال هذه السرة يمتد خط السكة الحديدية الأعظم الذي يربط بين عاصمة الخلافة الاسلامية في حينه الأستانة وبين أقصى الغرب في العالم الاسلامي مراكش وهو أحد الخطين الحديديين اللذين شكلا عصب الاتصالات في دولة الخلافة الاسلامية حيث يمتد الثاني من الأستانة وحتى مكة المكرمة ليتحقق من خلال إمتدادها معنى الأمة الواحدة عبر غزة البوابة والسرة ويمتد خط السكة الحديد ليتجه نحو الشمال إلى الأستانة ويستدير نحو الغرب بعد قليل مرورا بكل الساحل الشمالي لأفريقيا حتى مراكش وهل سبق لك أن زرت غزة ضيفا وقدر لك أن تتمشى على أطرافها ليلا ليشم أنفك شذى الليمون أو يغمرك ريح الياسمين أو تداعب وجهك نسمات الهواء العليل القادمة من الأبيض المتوسط غربا معقمة بملوحة ماء البحر الزاخر والحافل بذكريات الأمجاد فغزة هذه قالوا في نسبتها أنها لهاشم بن عبد مناف من سلالة أبي العرب إسماعيل عليه السلام ولأبي الأنبياء إبراهيم عليه صلوات الله وسلامه ، وجد رسولنا الكريم الهاشمي المنتسب إلى هاشم بن عبد مناف مفخرة النسب العربي وقيل أن إسمها كان أصلا عزة بمعنى القوة والمنعة ودرجت على الألسن غزة إذ كان متعذرا على الفساسنة التي سكنوها لفظ العين وقد ذكر أنها منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل ميلاد المسيح عليه السلام وأنه كان يحيط بها سور يحدها من دير سنيد الى

دير البلح ومن وادي الشريعة إلى البحر المتوسط وغزتنا القديمة هذه أصلا كانت حيان الأول هو في الشجاعية والثاني هو محلة الدرج والمحلتان معا هما غزة التاريخ والأمجاد وإذا جلت بنظرك خاصة من فوق قمة المنطار الشهيرة شرقي الشجاعية لا تخفى عليك مئذنة مشرئبة شامخة رغم الأسلاك الشائكة والدم والدمع والرماد بين مئات المساجد المشرئبة الشامخة عبر أحياء غزة العراقة تلك مئذنة المسجد العمري في محلة الدرج في قلب غزة المسجد الشاهد على العراقة والأصالة والتاريخ المجيد وقد قيل في نسبته أنها لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث تدور حوله أحاديث هامة أنه كان معبدا للمجوس ثم كنيسة للنصارى وقد حوله الفاروق رضى الله عنه مسجدا يذكر فيه رب العالمين وأيا كانت تلك الروايات وأيا كانت صحتها ولسنا كتبة تاريخ ولكن ننقل أحاسيس ومشاعر فهذه مئذنة المسجد العمري شامخة شاهد عراقة وإشارة أصالة تناديك أن هذه غزة إذا أردت أن تبدأ جولتك فيها فمهم لك أن تبدأها من المسجد العمري فهو المعلم الأبرز فاذا ساقتك الأقدار وزرت غزة وزرت مسجدها العمري فلن تمتلك السيطرة على قدميك لتسوقاك شرقا عبر شارع عمر المختار ولتصل إلى ميدان المدينة الذي يفصل بين الشجاعية والدرج هنا تنحدر بك الطريق إنحدارا شديدا لتجد نفسك أمام منتزه الميدان حيث الأرض المائلة المكسوة بالسندس تشرئب وسطه شجرات النخيل شاهد إباء ودليل شهامة وتستطيع قطعا أن تقرأ في سطور السعف المعلق هناك عاليا في السماء وعند

قمة النخلة أن شجر المنطقة يرفض الضيم ويأبى الذل فقد تلقن الدروس في ذلك من أهله الذين يراهم ويحييهم صباح مساء من هذا الميدان تستطيع أن تتحرك في إتجاهات أربع نحو الشرق عبر الشجاعية إلى بئر السبع وصحراء النقب حيث سكن سيدنا يعقوب وبنوه وحيث الكيد على الحب والصفاء على يوسف الصديق الصبي الحبيب إلى والده الكيد الذي حاق بأهله ودارت دائرته عليهم ونحو الغرب عبر غزة الجديدة وبمحاذاة الدرج تتجه عبر شارع الوحدة أو عبر شارع عمر المختار إلى شاطيء الأبيض المتوسط الصابر المحتسب الناظر على حرقه وشوق للمجد الضائع يعود من جديد أما إتجاه الجنوب فيأخذك إلى آخر مدن جنوب فلسطين خانيونس التي لابد أن تذكرك بمجازر الحقد عام ١٩٥٦ ومجازر عام ١٩٦٧ إثر المقاومة الشرسة والمستميتة ورفح حيث الحدود المصرية لتنتقل بعد قليل إلى سيناء العقوبة والضياع على الذين راوغوا نبيهم وخذلوه حين أمره ربه أن يدخل الأرض المقدسة التي كتب الله عز وجل وقالوا " إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " ولابد أن تقودك قدماك شمالاً إلى عمق فلسطين الساحل حيث عسقلان الرباط وأسدود التاريخ ويافا الصمود وحيفا الكرمل ثم عكا الشموخ بأحمد الجزار وسورها الذي لازال شامخا يتحدى هدير البحر فاذا إتجهت من الميدان شمالا عبر شارع صلاح الدين وأطرقت قليلا تتذكر التاريخ والأمجاد ناداك كل جدار يحاذيك هتف بك كل حجر كل حبة رمل كل شيء كل شيء أن توقف فأنت في شارع صلاح

الدين في كل شبر منه تجمعت بركة ماء نزفت من شهيد وعلى كل جدار إلتصقت قطع اللحم من الأشلاء من الشهداء أو من جثث الأعداء من وراء كل جدار ألقيت قنبلة من فوق كل سطح إنهمر الرصاص على دوريات المحتل يجرعه الموت وفي شارع صلاح الدين هنا إلى جوارك بأمتار تفجرت شرارة حرب السكاكين وفتحت مدرسة جديدة في تاريخ جهاد هذا الشعب العجيب وقبل أن تصل إلى ملتقى السكة الحديد التي كانت طيلة الوقت تسير إلى جوارك بهدوء ودون إحساس منك حيث المزلقان وإلى جوارك تجد ما إصطلح الأهالي على تسميته السنافور عامود الكهرباء المركزي شامخ الرأس مشرأب العنق وإلى جواره تجد ضريح الشيخ بشير حيث تلقي العجائز قطع النقود المعدنية ويشعلن الشموع تباركا بالولي قبل أن تصل لابد أن يشفف سمعك نداء ونداء ونداء لتدرك أنه قد حان وقت الصلاة فتسمع نداءات الصلاة من ما يزيد على ثلاثين مسجدا من جميع الاتجاهات في كل شبر مسجد ولن تجد صعوبة في أن تدخل أحد تلك المساجد العديدة شرق الطريق أو غربه مساجد الشجاعية تناديك من إتجاهات الشرق الدارقطني ، سيدنا علي ، السيدة رقية ، إبن عفان ، القزمري ، الهواشي ، إبن مروان ، الاصلاح ، التوفيق ، المنطار ، وتتنافس عليك مساجد الدرج من إتجاهات الغرب السدرة ، الأيبكي ، إبن سلطان ، الصحابة ، المغربي ، علي إبن أبي طالب ، القسام ، المحطة ، السيد هاشم ، البجاني وغيرها ولكن كم خطوة تظن أن بامكانك السير دون توقف للذكريات أو دون توقف

إضطراري ليس لأن الازدحام شديد لهذه الدرجة ولكن لأن دورية من جيش العدو إستوقفتك للتدقيق في بطاقتك الشخصية وللتأكد أن إسمك ليس مدرجا في قائمة المطلوبين في يد ضابط الدورية وللتأكد أيضا أنك لا تحمل تحت ثيابك سكينا أو قناعا أو زجاجة حارقة أو حتى حجر وإن نجوت حيث أن إسمك ليس في القائمة وثيابك خالية من المطلوبات المذكورة فقد لا تنجو إن كانت يداك مغبرتين بتراب فلسطين فتلك جريمة يحاسب عليها القانون العسكري في غزة وقد يدعو الأمر لاعتقالك إحترازيا فترة أقلها ٨ أيوما دون تحقيق أو إتهام فحاذر إن جئت زائرا غزة أن تمس ترابها أو حجارتها أو جدرانها أو... فكل ذلك ممنوع عند قوات الاحتلال وإلا فقد أخللت بالأمن العام ووجبت عليك العقوبة التي يفرضها قانون الغاب الذي يلبس زي وقيعة جيش الاحتلال في غزة هذه هي غزة .. غزة شاطيء الأبيض المتوسط أقرب النقاط تماسا لمدينة عسقلان التي إحتلها العدو عام ٤٨ وسماها أشكلون والتي قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني بسند صحيح " خير رباطكم عسقلان " واليوم ليس في عسقلان المدينة مسلم واحد اللهم إلا بضع مئات من السجناء في سجن عسقلان المركزي فلا شك أن الشاطيء الغربي هو ذاته شاطيء عسقلان فالفارق لا يزيد على عشرين كيلو متر تقطعها السيارة في دقائق معدودة فهذه عسقلان خير الرباط وهذه إلى جوارها غزة الرباط قلعة شامخة من قلاع الدين حامية العقيدة وإن شئت أن تتأكد فاحصي مساجدها

أو معالمها الاسلامية أو إن شئت فانظر في شوارعها لترى في الوجوه في الكلام في السلام في المعاملة في اللحى أو في الحجاب أو في الاحتشام وإن شئت أن تسير نحو الحقيقة أكثر فتعامل مع أهلها لتجد الروح الدفاقة بالعطاء والتضحية والنفس الصدامية التي ترفض الخنوع والذلة غزة هذه شيء أخر في شوارعها اليوم خاصة كما هي شيء أخر في نفوس أهلها أيضا لاشك أنك لو كنت قادما لزيارة غزة من كوكب أخر غير أرضنا هذه ولم تسمع شيء عن ملحمة وأسطورة غزة من قبل لاشك أنه سينتابك شعور بالرهبة أو الخوف أو العجب فما بال هذه الجدران والأبواب كلها على الاطلاق ملطخة بألوان مختلفة من الطلاء ؟! وما بال الوجوه فيها التحفز على أشده والعيون أشبه ما تكون بعيون النسور أو الصقور تبحث عن صيد ولا تجده تلك هي غزة قالوا عنها في مطلع ١٩٨٧ أنها ثقب أسود في رأس إسرائيل وقالوا عنها الجرح النازف الذي كلما ظنوه جف عاد فتدفق الدم أكثر من قبل وقالوا عنها برميل بارود وقالوا عنها قنبلة موقوتة وكتب أحد أشبالها على جدار المسجد بعلبة الطلاء " أيها اليهود تعالوا إلى الموت في غزة " وفي اليوم التالي كان كبار محللي الصحافة عند العدو يكتبون النداء في عناوين تحليلاتهم فماذا حدث حتى كان ما كان ؟!!فجأة إرتفع صراخ قادة العدو ومسئوليه واكتشفوا أن تقارير مخابراتهم غير دقيقة وليس مجرد ذلك بل وغير صحيحة فقد كانت التقارير تؤكد أن غزة قد إنتهت ذابت ، كانت ولم تعد ، باقية وبها الحشيش والأفيون دمرها

الكوكائين والهروين ونخر عظمها الفساد الأخلاقي وعششت فيها شبكات العملاء هكذا تصوروها فكتبوا تقاريرهم فتنفس الجميع الصعداء فغزة هذه أطارت النوم من رؤوسهم طويلا وحرموا دخولها مرارا إلتقطوا أنفاسهم وقبل أن يكملوا إلتقاطها إكتشفوا أنهم واهمون فاشتعلت غزة نارا من كل حدب وصوب فقد نادت المآذن جميعها بصوت واحد لاتردد فيه ولا تلجلج بسم الله الله أكبر بسم الله قد حانت خيبر وردد الأهالي النداء من أعماق قلوبهم فلطالما إنتظروا نداء المآذن ومرة أخرى هتفت مآذن المساجد خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود فرددت أرواح الأهالي طوعا وكرها فلطالما إنتظرت الأرواح والضمائر عودة جيش محمد إشتعلت غزة نارا وطارت حماسا في كل زقاق في كل حارة في كل بيت واحتدت النار وولد الحماس الحماس وسال الدم وطلب الدم الدم فسال الدم أنهارا وبدأت الملحمة الأسطورة المعجزة وأستيقظ الأطفال على نداء المسجد في الحارة الدم الدم وسأل كل واحد منهم أمه ماذا حدث ؟ وأجابت الأمهات جميعا جيش محمد سوف يعود وسأل الأطفال ماذا يعني ؟ وصرخت الأمهات وقد إرتفعت حدة الصوت إحمل حجرا أو سكينا لاتتأخر صرخ الطفل نظر وزمجر خيبر خيبر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر ، ها قد أبشرها قد أبشر وبمئذنتي أشمخ أكثر أصدع أكثر خيبر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر ، سجن يفتح لن تتأخر بيت يهدم شبل يزأر عظم يكسر شعب يثأر جرح يدمي مرحى مرحى لن نتأخر لن نتقهقر لن نتراجع لن نتأخر والشيخ المعجزة

ينادي والشعب المعطاء تفجر خيبر خيبر لن تتأخر والطفل تنامى في عز والحجر تعالى ويتلوه الخنجر خيبر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر والطفل تنامى في عز هذا أشرف ذا يتبختر خنجر خنجر خيبر خيبر جيش محمد لن يتأخر لن نتأخر لن نتأخر تلك هى غزة شعلة من الحماس فوهة البركان العملاق العالي .

الفصل الأول : النشأة

والمقدمات لبان الحب الفهم والانتماء هذا بالتحديد وعلى بعد عشرات الأمتار فقط من وقوفك عند مفرق السنافور وملتقى السكة الحديد بالخط العام وفي شارع فرعي جانبي وبسهولة تعثر على أنقاض بيت مدمر ذاك هو البيت الذي نشأ فيه فارسنا وعاش فيه سني حياته بين الوالدين يحوطانه بالحب وأخوته أحدهما يكبره أدهم ٢١ عام والثاني يصغره محمد ١٧ عام وأختين تكبرانه تزوجتا فيما بعد في هذا البيت تربى فارسنا ورضع لبان حبه وفهم إنتمائه لبان حبه لهذه الأرض التي درج عليها منذ نعومة أظفاره فطالما إلتقفته بكل الحنان وهو يخطو خطواته الأولى يحدو ويدرج قريبا من باب المنزل بين أولاد الحارة وأقران الطفولة لبان فهمه لعمق المأساة فغزة هذه عزيزة لعزتها على كل فلسطيني ولأنها مسقط الرأس ولكنه فهم جيدا من أحاديث الجدة وسمع طويلا قصصها عن أيام العز في السبع وطالما سأل أشرف الطفل جدته ما هى السبع ؟ وفهم بعد أن كبر وأصبح قادرا أن يفهم أن السبع هذه هى

مدينة بئر السبع التي يسميها اليهود اليوم بير شيفع وأن
أيام عز ودلال عاشتها الجدة مع الجد وطفلها حسن وأخواته
الاثنتين قصص لا حصر لها عن ماضي العز والدلال في بئر
السبع قبل أن يتبدل الحال ويضطر الجد والعائلة أن يلملموا
الأطفال ويطيروا من المذابح والمجازر تاركين وراءهم كل
شيء الأرض الدار الأثاث وكل شيء حتى وتاركين وراءهم
واحدة من ساقي الجد التي قطعتها إحدى شظايا قنابل
الجزارين أعداء الحياة التي ألقتها طائراتهم أو قذفتها
مدافعهم على الأهالي العزل لطردهم إلى أي مكان ولو كان
الجحيم ، رضع لبان فهم لعمق المأساة حين كان يتحدث
للجدة ويعجب لماذا لا تجيب وتظل تتحدث في غير
الموضوع الذي يريد ؟ لماذا لا تجيبه على سؤاله عن الدار أو
لماذا ؟ ويعجب لماذا يرفع والديه أصواتهم كثيرا عندما
يتحدثان للجدة ؟ حتى يضيق ذرعا من إرتفاع الصوت ليفهم
بعد حين معنى الكلمة التي قالوها له مرات عديدة حين
سأل عن سبب ذلك الصراخ أن جدته صماء !! ويسأل الطفل
الذي بدأ يدرك معنى صماء ، يسأل ما السبب ؟ لماذا جدتي
هكذا لا تسمع ؟ ليفهم ويرضع لبان الفهم أن ذلك أمر
طارىء فقد كانت الجدة تتمتع بسمع مرهف ولكنه ذهب
يوم ألقت طائرات العدو أوقدة مدافعهم لسنا ندري المهم
حين سقطت إحدى القذائف على البيت ودمرت معظمه
محدثة دويا هائلا أصم الجدة وأذهب سمعها وأصيب الأهل
برعب شديد وبدأوا من جديد يحاولون ترميم وإصلاح ما
لحق بالبيت من خراب وقد كانوا في أمس الحاجة لكل

قرش وقد كان للقرش أنذاك قيمته وكثيرا ما قالت الجدة
الليرة كانت تساوي بلاد وعباد فالحالة كانت صعبة للغاية
وكان الله في عون الناس هنا في هذه الحارة التي يسمونها
حارة التفاح نشأ فارسنا وترعرع ورضع لبان الانتماء وهو
يسمع النداء الخالد خمس مرات يوميا ومن عشرات المساجد
المبثوثة في كل شبر في الحارة وحول البيت وهو يرى
الرجال يهرولون مسرعين للمسجد هذا أو ذاك يؤدون الصلاة
وهو واقف بباب المسجد مع أقران الطفولة يتفرجون عليهم
وهم يصطفون صفا واحدا يركعون ويسجدون ويقومون
ليخرجوا للحياة من جديد يذكر فارسنا أحاديث الوالدة عن
أخواله الذين أبعدتهم سلطات الاحتلال بعد إحتلال القطاع
عام ٦٧ إلى مصر فقد كانوا من الاخوان المسلمين طالما
سمع القصص عن خاله الشيخ ظاهر شبانة أو بدر شبانة
الذين كانا من الاخوان المسلمين ولم يكن يدرك ماذا تعني
هذه الكلمتان سوى أن الوالدة طالما حثته وإخوانه على
الصلاة " عشان يكونوا رجال بحق وحقيقة ترى أخوالهم
الشيخ ظاهر شبانة وبدر شبانة من الاخوان المسلمين في
هذه الحارة درج أشرف وكبر وترعرع في هذا الزقاق حيث

كل لعبة وفي ظلال النافور الشامخ لعبوا مرات الكرة في ساحة صغيرة شرقي الطريق العام الى جوار ضريح الشيخ بشير حيث يخرج الصبيان كل يوم عند العصر ومعهم الكرة التي يشترونها جميعا بعد أن يجمعوا ثمنها من مصروف الجيب الذي يقبضونه في الصباح وهم في طريقهم للمدرسة ويلعبوا فريقان أليس من حقهم أن يلعبوا حتى ولو طار أحد الصبية وراء الكرة حين راحت على الطريق العام ولا يبالي أن تصدمه السيارات فالأهم ألا تضيع الكرة فليس سهلا شراء غيرها وذلك يعني حرمان يوم آخر أو يومين من شراء حاجة المدرسة وفي هذا الطريق ست أيام في الأسبوع مرتين كل يوم أمر على السنافور على مدرستي سنوات الابتدائية لأصل الى مدرستي الهاشمية على بعد مئات الأمتار وعلى مدار ثلاثة أخرى أثناء الدراسة في مدرسة الشجاعية الاعدادية للأجئين مئات الأطفال ذاهبون في الصباح تشرئب أعناقهم لتطاول السنافور أيبون عند الظهر لنحاول مطاولته أيضا زيادة على عشر سنوات وأشرف ذاهب أيب كل يوم وحقيبة دفاتره في يده والصبية معه ومن حوله يتلاعبون ويتصايحون والنافور هو السنافور في مكانه لا يتزحزح خطوة واحدة للوراء ولا زال مرتفع الراس لم ينحني رغم السنون والآهات وضجة العربات المصفحة مدججة بجنود الاحتلال تحوم حوله ليل نهار في أحد الأيام لم تستطع الوالدة أن تخفي فرحتها فارتسمت أعرض بسمة على وجهها منذ أربعين سنة فهذا أشرف أصبح رجلا جاء عند المغرب تطيره الفرحة ووقف قبالة الوالدة التي

إنهمكت في عمل البيت ومد يده الى جيبه وأخرج شيئا ومد يده ليعطيها راتبه بضعة آلاف من الليرات قبضها قبل لحظات من صاحب المطبعة التي إعتاد أن يعمل فيها بعد رواحه من المدرسة منذ شهر نظرت الوالدة من ؟! ماذا ؟! ودارت الأفكار بعيدا هذا أشرف أصبح رجلا بلغ العاشرة من عمره وها هو عمل في المطبعة التي أخذه الوالد لها عند صديق له هو صاحبها ليعلم كيف يكون رجلا يصرع الصعاب ولا تصرعه وإذا الأمر جد فهذا أشرف مائل أمامها ويده ممتدة بالأوراق النقدية عدة آلاف من الليرات ليس لها قيمة كبيرة في الشراء ولكنها ذات معنى كبير كبير جدا للأم ترى طفلها رجلا يعمل ويكسب ويأتي ليسلمها راتبه الشهري هناك قريبا من المطبعة كانت نخلات منتزه الميدان أيضا لا تزال مكانها لم تتزحزح ولا تزال واقفة منتصبة فروعها في السماء وسعفها منقوشة الكلمات عليه لا سلم أو يجلو عن الوجه الرغام لا صلح لا سلم لا إستسلام في الليل يحلو الجلوس تحت هذه النخلات أو اللعب على السندس المائل في المنتزه خاصة في ليالي رمضان وأجمله الاختفاء خلف جذوع النخل المنتصبة من الصبية الأقران أثناء اللعب كما يحلو السير ليلا في شارع الوحدة أو شارع عمر المختار والقفز هنا وهناك على الرصيف وفي وسط الطريق والقفز من فوق مواسير الرصيف والتعلق بمواسير عرض البضائع أمام المحلات المغلقة وأجمله أن يطارد الصبية بعضهم بعضا وأن يتدافعوا ويتضاحكوا ويتشاجروا ليجمعهم في النهاية بفرح وسعادة بوظة أبو فتحي لتبدأ

طريق العودة بالتدافع والتضاحك والتشاجن حتى ينتهي المطاف بالفراش الدافيء الذي أعدته الوالدة لفارس أحلامها أشرف إلى جوار أدهم ومحمد ذات يوم حدثت ضجة كبيرة في الشارع وهرول الناس مسرعين من المكان وهم يتهامسون ذبحوا يهودي ذبحوه دمه ملأ الأرض كان ذلك على بعد عشرة أمتار أو عشرين فقط من البيت حين تمكن أحد الفدائيين بخفة ورشاقة أن يذبح ذلك اليهودي وهو منحني على بسطة الخضار فاذا هو يتخبط في دمه وشاع الخبر في المنطقة كالنار في الهشيم وبعد لحظات كان الشارع شيئا أخر فمئات الجنود مدججين بالسلاح وسيارات ضباط المخابرات وسيارات الجيش والحاكم العسكري والناس تتسأل هل مات ؟! لا أحد يعرف الاجابة بعد لتعود الحياة إلى طبيعتها بعد أيام ولكن تقلص تردد اليهود على المنطقة بشكل ملحوظ ، أنهى أشرف دراسته الاعدادية بنجاح والتحق بمدرسة يافا الثانوية على بعد مئات الأمتار فقط غربي البيت فبدأ خط السير يتغير وإن ظل يوميا يقابل السنافور المرتين اللتين إعتادهما على مدار تسع سنوات كاملة في الصباح وعند الظهر والسنافور هو السنافور كما وأنه إنقطع عن العمل في المنطقة فقد كبر والمطبعة لا يلزمها عمال في مثل سنه ولكن نخلات المنتزه هي نخلات المنتزه .

الفصل الثاني : الشرارة والتمايز والوضوح :

واستيقظ الأطفال على نداء المسجد في الحارة الدم الدم وسأل كل واحد منهم أمه ماذا حدث وأجابت الأمهات جميعا

جيش محمد سوف يعود وسأل الأطفال ماذا يعني وصرخت الأمهات وقد إرتفعت حدة الصوت إحمل حجرا أو سكينا لا تتأخر كان ذلك في أواخر عام ٨٧ في التاسع من كانون أول ديسمبر حيث إشتعلت غزة نارا أو بدأ التاريخ يسجل لمرحلة جديدة في حياة الشعب الفلسطيني مرحلة الانتفاضة المباركة وامتدت نيران الحجارة الذي غلى في الصدور لتشمل كل أزقة وشوارع وحارات غزة كل غزة لتمتد بعد حين لتشمل كل مدن وقرى وعزب وحارات وشوارع فلسطين الغالية إمتدت نيران الحماس الذي تأجج في النفوس فجاء ميلادا عظيما لأخطر أحداث المنطقة في هذه الحقبة من التاريخ إمتدت النيران عبر مكبرات الصوت من قمم مأذن المساجد لترددها أذان الشعب الذي طال صبره وطال إنتظاره إلى قلوب تيقنت أن هذا هو الطريق فانطلقت جماهير شعبنا العظيم تصنع المعجزات وتسطر التاريخ بحروف من مجد ومن نار ومن دم ومن دمع بدأ الحماس شرارة وإذا بنيرانه تشتعل في كل مكان لتغطي وجه الأرض الطاهرة ويتوالد الحماس في الصدور ليجعل من فعالياته أعذب أنشودة عرفت موسيقاها على أزيز الرصاص ودوي قنابل الغاز وهدير سيارات المحتل وأصوات فرقعة إطاراتها بفعل المسامير التي دقت في الأرض وصوت تحطم زجاجها بفعل الحجارة المباركة تنهمر من كل صوب وتزداد عذوبتها حين يحتد الحادون بالتهليل والتكبير والهتاف العلوي الخالد خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود وإنتبه الأهالي أكثر من مرة على صوت النداء

رجالهم ونساؤهم كبارهم وصغارهم والأشبال إنتبه أشرف على أصوات مكبرات المساجد تنادي من كل إتجاه حي على الجهاد تميز فيها بصورة خاصة مسجد الأيبكي على بعد عشرات الأمتار فقط غربي البيت وإذا بالمنطقة كلها تشتعل نارا هاج الناس وماجوا وتدافعت جموعهم عبر الأزقة إلى الشوارع والطرقات وإذا بالاف الجبهات تفتح في كل مكان لتنهال الحجارة القاضية على رؤوس جنود الاحتلال ، في صباح أحد الأيام المشرقة الهدوء يخيم على المنطقة قبيل الساعة السابعة بقليل فاذا ما إقتربت عقاربها من السابعة بدأت الحركة في الظهور وارتفعت الأصوات تدريجيا إذ بدأ الطلاب في التوجه لمدارسهم فرادى وجماعات حملت حقيبتي وخرجت باسما لليوم الجديد متجها للمدرسة إلى يافا الثانوية وعلى الوجوه من حولي إبتسامات مشرقة لليوم الجديد وقبل أن يدق الجرس جرس طابور الصباح بدأت أحس أن حركة غريبة في فناء المدرسة الطلاب يتهامسون ماذا حدث ووصل إلى أذني همسة من صديق يجب أن يكون لنا دور في الأحداث مدرسة يافا يجب أن تقف وقفتها اللائقة يجب أن تخرج في مظاهرة عنيفة ونفتح مواجهات شرسة في المنطقة وتحولت الابتسامات فجأة إلى نظرات إصرار وعزيمة إستعداد وتحفز وبدأ الهتاف الخالد بسم الله الله أكبر بسم الله قد حانت خيبر وقصفت أصوات الطلاب الهادرة في الفناء وخفقت القلوب وداعب الهتاف شغافها فازدادت حدة النبض وتدفق الدم للعروق حارا غزيرا وانفعلت واغرورقت عيناي بالدمع الساخن أحاسيس عجيبة

كانت تغمرني وأنا أهتف من أعماق قلبي من وسط الجمع الهادر أخذتني الذكريات بعيدا لبئر السبع لأيام العز والدلال لساق الجد لسمع الجدة للبيت الذي تهدم ورجعت بي للمسيرة الهادرة وللصدور المزمجرة صدور الفتيان ستة عشر عاما تغلي بالحماس وحب المجد والعزة تقدمت الجموع قليلا قليلا متجهة عبر شارع السدرة أمام البوابة الرئيسية للمدرسة وفجأة ظهرت سيارات جيش العدو وهناك بعيدا توقفت ونزل الجنود وتمترسوا بسياراتهم وراء الجدران والزوايا وبدأوا بصورة محمومة باطلاق النار وقنابل الغاز وكان لزاما علينا أن نفترق ونأخذ مواقعنا لنتحصن من الرصاص وتبدأ فقرة جديده من الأنشودة العذبة على أزيز الرصاص فرقعة قنابل الغاز وصراخ الفتيان من هنا ومن هناك إنتبه إلتفوا حولهم من الشرق والتكبير والتهليل كانت مواجهة رائعة عبقت فيها أنوفنا رائحة الغاز المسيل للدموع لم ننتصر كما نحب بأن نجعلهم يتراجعون كثيرا أمام حجارتنا فلم نكن نستطع أن نقذفها حتى تصلهم فقد كانوا أجبن من أن يقتربوا ليكونوا في مرمى أيدينا ومن بعيد فقط كانوا يصوبون بنادقهم لتقتنص كل من يعرض نفسه لها خارجا من وراء مكمنه ولكننا حققنا بعض النجاحات فقد أشعلنا المنطقة حماسا وقطعنا الطريق عدة ساعات فعطلنا حركة مرور سياراتهم التي إعتادت أن تتحرك عبر هذه الطريق قادمة من أرضنا المحتلة منذ ٤٨ إلى الدوائر الحكومية في غزة والأجمل أننا أثبتنا أننا قادرون على الصدام والتحدي

فرحنا وسالت دموعنا واحمرت العيون وعطسنا كثيرا بفعل الغاز وفي الختام رجعنا الى البيوت نتوعد ليوم الغد الحافل بالمواجهات وتكرار الموقف مرات هاجمنا سباراتهم طاردنا جنودهم وطاردونا قطعنا الطريق تقدمنا حتى شارع الوحدة وتراجعنا أمام رصاصهم حتى يافا الثانوية ومرة إقتحموا المدرسة علينا بأعداد ضخمة من الجنود تكاد تفوق عددنا في المدرسة وهكذا الحياة يوم لك ويوم عليك والوغى دوما سجال لكننا في كل مرة كانت تشتعل نفوسنا بمزيد من الحماس والاصرار كما كل شعبنا على إمتداد أرضنا الطاهرة لست أدري لماذا كانت تنهمر الدموع ساخنة عندما تبدأ المسيرة ويهدر الصوت بالهتاف إنفعالات عنيفة كانت تجتاحني وتعصف بفؤادي وأحاول أن أحبس الدمع اخفيه أمسحه حياءا من الأقران من حولي وأرى من بين الأيدي الملوحة بعلامة النصر أو بشارة التوحيد كل الوجوه يسح عليها الدمع سحا العيون كلها حمراء تنهمر منها الدموع يارب لماذا هذا البكاء الا تستطيع أن تضبط هذه العيون فتكف عن سكبها حاولت جاهدتها وفي كل مرة كانت تغلبني وإلى جواري كانت تغلب أيضا محمد أو حسن أو خالد أو عبد الجبار ، ما هو تفسير هذا الدمع ؟ لماذا يغلبنا الهذا الحد نحن ضعفاء ظلت هذه الدموع تحيرني والأسئلة تدق أبواب دماغي ولا أجد الجواب ولكلما إرتفع الصوت أكثر كلما هدرت الجموع أكثر بالتهليل والتكبير والهتاف زاد الدمع إنهمارا لماذا ؟ خشيت أن يكون ذلك بفعل الخوف واكتشفت في كل مرة أنه ليس السبب فعلى الفور وحين

أسمع أول رصاصة أو أرى أول خوذة على رأس أحد جنودهم أو أرى درعه البلاستيكي أمامه يحتمي به من أرتال حجارتنا على الفور يتوقف الدمع وتتجلد الدموع على خدي وتتحجر تلك التي لا زالت في العين الأرض تجذبها اليها بشدة وعنف والعين تصر على إسترجاعها مرة أخرى وتعصف بي المشاعر أكاد أن أكون عرفت السبب سبب ذلك الدمع في عيني وكل العيون من حولي تتجلد الدموع وتتحول إلى إصرار عجيب كنت أحسد نفسي عليه في كل مرة إرادة عجيبة على عدم التراجع على صرع الصعاب آه بالحياة العمل في المطبعة قبل سنوات المس آثارها جيدا في مواقعي في دموعي المنهمرة وحتى المتجلدة أو المتحجرة أكاد أدرك السبب عطش رهيب في الأرض رغم أن الشتاء لم يرحل بعد والموسم غزير المطر والأرض مورقة مزهرة ووجداني كل كياني بل كل ما حولي من أحياء وكائنات بل وجمادات الكل يهتز يلتحم معا معنى واحد جميل جليل عظيم عجيب وشاعري جذاب تمتزج فيه الفرقة بالألم والشوق بالكراهية والحذر بالغامرة والأرض بالانسان أصبح حبي للأرض أكثر من كل لحظة مضت غدوت أشعر أن عشقا ملأ علي روحي لكل شيء في طريقي للأرض للشجر للحجر للجدران وللمسجد والمدرسة إتصال عجيب والتحام مذهل وحب جنوني ألم يكن هذا الحب في صدري منذ أيام ؟! لست أدري ولكني لم أكن أستشعره كما هو الآن إذا ما هو السبب ؟ كيف تفجرت هذه العواصف الفياضة إنبسجت ينابيع هذا الحب الغامر العشق العجيب ؟

ما السبب ؟ لا أزال أبحث عنه ولكني واثق أني ساجده إني على يقين أنه بين ضلوعي بين ضلوعنا جميعا أنا وكل الأحبة في يافا الثانوية بل وكل الأحبة في حارة التفاح في محلة الدرج في غزة بل وعلى إمتداد الأرض الطاهرة فسأبحث عنه أنا واثق ساجده في عمق كياني في روحي أقلقتهم يافا الثانوية بدرجة كبيرة فموقعها على طريق تحركهم وتجمع قرابة خمسمائة طالب فيها يجعلها مركزا حساسا للاحتكاك والصدام والمواجهة شبه اليومية وبعد فترة أدركوا ذلك فقرروا نقلنا منها إلى مدرسة الفرات في أقصى شرق الشجاعية هناك بعيدا جدا عن بيوتنا وعن حركة مواصلاتهم حاولنا طويلا أن نفشل القرار ولكنهم إستماتوا لتنفيرهم فقد أطارت يافا الثانوية كما الكثير من المدارس النوم من عيونهم وتفاقمت الأحداث ولم تنضبط الدراسة بين يافا والفرات والاضراب والمواجهات فكان علي أن أتجه في حياتي وجهة جديدة فالبيت لوازمه كثيرة والوالد لم يعد قادر على تلبية كل تلك الطلبات حيث كبرت به الأيام فقد قارب الستين فبدأت رحلتي في العمل ، أثناء العمل إنتسبت لمدرسة الفالوجا الثانوية في جباليا حيث تمكنت من الحصول على شهادتي الأول الثانوي والثاني الثانوي ولم تسنح الفرصة للحصول على الثانوية العامة مرات قليلة جدا تلك التي أذكر أنني خرجت فيها من البيت مبكرا قبل هذه المرحلة من حياتي أي قبل الساعة السادسة صباحا لكني كنت أدرك أن حركة وضوضاء كثيرة تحدث في شارع صلاح الدين على بعد عشرات الأمتار فقط شرقي

البيت كل صباح ما عدا صباح يوم السبت حيث أعداد كبيرة من العمال يخرجون للعمل في داخل الأراضي المحتلة منذ عام ٤٨ ولم يقدر لي أن أتعرف على حدود هذه الظاهرة بصورة كاملة فمع كل خيط جديد من شعاع الشمس التي تبدأ في الظهور هناك من خلف المنطار تخف الحركة تدريجيا حيث يرحل العمال يحملون طعامهم وأدوات عملهم في حقائب يعلقونها في أكتافهم أو سلات البلاستيك المبطنة بأكياس الخيش أو قطع القماش السميك يرحلون نحو الشمال وما إن تعتمر الشمس الأفق وتقترب ساعة خروجنا للمدرسة حتى تكون الحركة قد تقلصت أو شارفت على الانتهاء حركة الصباح هذه لم يقدر لي أن أعرفها على صورتها وحجمها الحقيقي ولكني كنت أدرك شيئا أوضح عن حركة المساء حيث أراها في معظم الأيام أو أرى فقرات هامة منها حيث أقف مع بعض الأقران عند حافة شارعنا بالقرب من المزلقان نرقب حركة آلاف السيارات من شتى الأنواع عائدة وهي تحمل العمال بعد يوم العمل الطويل لم يقدر لي أن سافرت بعيدا أو خرجت في مشوار طويل تلزمه السيارات فلم أكن أدرك جيدا ماذا يعني هذه الحركة بالضبط لأولئك الذاهبين الآيبين السارحين العائدين وحقائبهم على أكتافهم أو سلاتهم في أيديهم كان الوالد يخرج مثلهم كل صباح ويعود كل مساء والحقيبة معلقة كحقائبهم كنت أدرك جيدا طبيعة محتويات تلك الحقائب وطالما تساءلت هل أن كل هؤلاء الذاهبون الآيبون يتناولون طعام غدائهم مثل والدي ؟ هل كلهم محرومون ما توفره لنا

الوالدة حين عودتنا من المدرسة الخبز الطازج والطبيخ الساخن وأرجاء البيت الدافيء بالحب العامر بالحنان لم أكن أدري بالضبط كيف يعيشون ؟ وماذا يأكلون ؟ ماذا تحوي هذه الحقائب والسلات التي يحملون ؟ والأمر لم يكن يشغل بالي كثيرا صحيح أنه يدق كثيرا في رأسي وأنا أقف من بعيد أراقب الحركة ولكن إذا ما إستدرت مع الأقران أصبحنا في عالم آخر كنت أرى والدي كل يوم حين يعود أراه منهكا متعبا للغاية ولكنه سعيد للغاية خاصة حين يرى ثوبي الجديد أو حذاء بدء العام الدراسي أو الحقيبة الجديدة في معظم الأيام كنت أستيقظ فلا أجده في البيت وأدركت فيما بعد أنه يخرج مبكرا قبل بزوغ أول إشعاعات الشمس للعمل إذا علي الآن أن أعيش تلك الحياة وأعرف أسرارها من داخلها لم أكن قد تجاوزت السادسة عشر عندما بدأت أحمل حقيبتي التي تعدها والدتي لي مثل حقيبة والدي وحقيبة أدهم لأخرج في الصباح أنتظر زوج خالتي ليصطحبني معه للعمل كانت المرة الأولى عجيبة حياة جديدة وعالم جديد أقتحمه اليوم وتفتحت عيناي على حقيقة هذه الظاهرة يا للهول عشرات آلاف العمال ينتقلون يوميا يسافر أقلهم ساعة ذهابا وساعة إيابا حتى يصل مكان عمله والبعض يسافر الساعات حملت الحقيبة وودعتني عيون الوالدة والأخوات بكل الاشفاق الذي عرفته المعمورة منذ خلقت وخرجت أنتظر زوج خالتي في المكان الذي حدده لي ليلة الأمس ركبنا السيارة مع عمال آخرين وانطلقت نحو الشمال كانت قديمة من نوع بيجو لست

أعرف حول موديلات السيارات شيء ولا في سنوات إنتاجها وبين الآلاف من مثيلاتها وشبيهاتها إنطلقت تنهب الأرض وعيوني تنظر مرة على اليمين ومرة على الشمال أشعر بحب عظيم لهذه الأرض التي تطأها قدماي أو عجلات السيارة التي أركب للمرة الأولى إحساس عجيب ومزيج من المشاعر بين الحب والاعجاب والدهشة والاشفاق والغرابة والفضول الطريق طويل وممتد والسيارات منطلقة وأنا أعجب من هذه السيارات القديمة التي لا تتفكك أوصالها وهي منطلقة بهذه السرعة العجيبة أو لا تنحرف عن مسارها فيرتطم بعضها بالبعض الآخر أو تنحدر هناك بعيدا على جانب الطريق ويبدأ المقاول في شرح العمل المطلوب مني بالضبط وأنا أحاول مساعدته في العمل التي يجب أن أقوم به أنا في الأيام القادمة وحتى يأذن الله عز وجل في أمري أعد الخلطة هو الذي أنجز معظم العمل وأنا أحاول المساعدة أو أراقبه وهو يعمل ليبدأ بعد ذلك في مزاولة عمله المطلوب منه وهو إجراء بعض الاصلاحات في الجدران فهمت بعد حين أنهم يسمون هذا العمل بالعبرية "توكنيم" يعني ترميمات أو إصلاحات وبدأت أقوم بدوري في مناولته ما يلزم من مواد وأدوات أو بالتنظيف خلفه ويوم بعد يوم أعتاد على العمل أكثر وأعرف عن حياة هذه الطائفة المزيد والمزيد أكلت الخبز البارد والبائت وبدأت أعتاد على الطبيخ البارد الذي أعد في اليوم السابق يا الله هذه حياة جديدة قاسية صعبة فظة لا تعرف الرحمة خاصة على صغار السن الذين لم يقسوا عظمهم بعد شعور عجيب بالشوق لدفء

البيت وحرارة الأمومة وردعة الحياة الرغدة الهادئة ولكن لابد مما ليس منه بد فهل تصرعني الصعوبات وكانت الأدوات التي تلزم زوج خالتي في العمل كثيرة ولا يستطيع نقلها يوميا في ذهابه وإيابه لذا أستأجر بيتا قديما في تل أبيب قرب التحناة المركزية آه لقد بدأت أعرف شيئا من العبرية بل وبدأت بعض ألفاظها تنساب في حديثي رغم عني فالتحناة المركزية هذه هي محطة الأتوبيسات هذا الحي إسم شبيرا إستأجر فيه بيتا وضع فيه الأدوات والتي كانت بعض الأخشاب وأدوات البناء والقصارة الحديدية والبلاستيكية والدلاو وغيرها ، في معظم الأوقات كان لابد من التردد على هذا المكان لأخذ بعض الأدوات للعمل أو إرجاعها هنا بدأت أدرك أن ماساة أخرى موجودة في حياة هذه الشريحة من شعبنا فالالاف منهم يبيتون في اماكن عملهم وفي ظروف غاية في القسوة كتلك التي عشتها فيما بعد ولذلك أسباب عدة تفرض عليهم المبيت أهمها مشقة السفر اليومي ذهابا للعمل وإيابا منه أو توفيرا لتكاليف أجرة السيارات التي قد تصل أجرة اليوم خاصة للعمال غير الحرفيين مثلي بدأت أدرك ذلك وكان لازما علي أن أحذوا حذوهم ولم أجد مكانا أنسب من البيت المستأجر لأدوات البناء فبدأت أنا وآخرون المبيت هناك بين أكوام الأدوات نأكل وننام ونسهر ونعيش ونشرب الشاي حيث نعود للبيت في غزة مساء الجمعة لنعود للعمل والمبيت صباح الأحد إستمر الحال هذا حوالي نصف سنة إنتقلت بعدها للعمل في مكان آخر كان يعمل فيه أدهم أخي من قبل وهو

مخزن للألمنيوم فقد قبل أدهم في معهد المعلمين في رام الله وأمام إصرار الأهل أن يذهب لاكمال دراسته غلبوه وقد كان هو الآخر مصر على مزاولة العمل لكي يساعد في مصروف البيت وقد قرر أن يذهب للدراسة فقد أصبح مكانه في العمل شاغرا فانتقلت لأعمل مكانه بأجرة أفضل وظروف أحسن حيث العمل في المصانع أفضل منه في ورشات البناء ولكن المبيت ظل في البيت المستأجر في شبيرا في أدوات البناء وأكوام الخشب وبعض رفاق العمل ، حادث لا يفارق مخيلتي حين أذكر هذا المنزل فقد ترك بصماته في ذاكرتي بخيره وشره فالمبيت في داخل الأراضي المحتلة منذ ٤٨ ممنوع إلا بتصريح ومعروف أن الشرطة تطارد الحشالى وهم كثيرون ممن يبيتون دون تصريحات ذات ليلة إستدلت الشرطة على البيت المذكور فداهمته حيث ضبطتنا فيه دون تصريحات وكنت أصغر الموجودين سنا كان نصيبي صفعة على وجهي جعلت الدنيا تظلم في عيني ولفترة طويلة زالت ظلمتها في وقت لاحق فكم صفع وضرب وركل الاف أمثالي فهمت معنى جديد للحياة من تلك الصفعة لم يفهمني إياه الخبز البارد ولا الطبيخ البائت ولا رحلات السفر الشاقة ولا فراق الأهل أسبوعا كاملا ولا النوم بين أكوام الخشب بعد يوم العمل الشاق معنى جديد جديد وخطير أحسست ببرودة الحديد تسري في جسدي من القيد الموضوع في قدمي وأقدام رفاقي في البيت وأقدام الاف العمال وهم يبنون بأيديهم حضارة ودولة الاغتصاب معنى خطير شعرت به وأنا أصارع

الحياة على لقمة العيش لأسد ثغرة تركها أدهم بانتقاله لاكمال دراسته وتركها الوالد وقد تقدمت به السنون معنى جديد بدأ ينعكس على فهمي للحياة لم أكن أدركه بهذا الحجم وهذه الخطورة صحيح أني كنت أفهم أنا نعيش تحت نير الاحتلال وصحيح أنني كنت مع إخوتي طلاب مدرسة يافا في مواجهات وصدامات مع قوات الاحتلال ولكن هذا درس جديد ومعنى جديد وفهم جديد تجمدت دموع الغضب في قلبي كتل من الحسرة ، الثورة ، دعنا الآن من هذا .. عملت في مخزن الألمنيوم هذا سنة تقريبا وعاد أدهم للعمل في نفس المكان ولما خفت حدة العمل تركته لأعود إلى غزة دخل أدهم في العمل وعندما تقرر أن يعود مرة أخرى للمعهد عدت أنا للعمل في نفس المكان كنت عادة العربي الوحيد في المخزن بين أربعة أو خمسة آخرين من اليهود في كل كلمة في كل همسة في كل حرف حتى في النظرات في العمل التي يطلب مني تأديته دونهم في كل شيء حولي كنت ألمس العنصرية في الأمور لديهم بالتميز والتفوق أشعر أنهم ينظرون إلي وكأنهم في مكان عال حتى في ضحكاتهم حتى وهم يمازحونني في كل ذلك لمست شعورهم إتجاهي بالنقص والقصور والاحتقار وكنت أعجب لذلك هل لهم أربع عيون ولي إثنتان فقط أم لهم أربع آذان ولي إثنتان فقط ما هو السر في شعورهم ذاك ونظرتهم تلك ومع كل نظرة كنت أشعر ببرودة القيد في أقدامي برودة السلسلة الكبيرة التي تحوط أعناقنا جميعا ألست أذكر الحادث بالضبط ولكن ذات يوم طلب مني أحدهم أن أغسل

أرضية المخزن آه لقد لمست فيهم خبرة الاستعلاء وأنه ينظر إلي نظرة الدونية آه يالبرودة القيد لهذا الحد يصل البشر في الانحطاط ؟! لقد كان الوالد رائدا وحكيما يوم وضعني منذ طفولتي في المطبعة لأصرع الصعاب فحياتنا كلها صعاب أو الصعاب كلها حياتنا نظرت إليه وكنت أشعر أن نظراتي إخترقت صدره لتملأ قلبه بالرعب فاستدار ولم يراجعني لم لم أغسله ولكن برودة القيد سرت في أنحاء جسدي وهزتني بعنف بشدة وبدأ واضحا لي بصورة جلية أنه يوم مبارك ذاك اليوم الذي عرفت فيه حياة العمال لتتضح الصورة في مخيلتي عن الحقيقة ، حقيقة الاستعباد المغلفة بغلاف مزركش في زمن تكنولوجيا الخداع والطلاءات وتوالت الأيام ومرت الأسابيع كان خالي يعمل في مصنع للخياطة في منطقة الكرمل وقد إنتقلت للمبيت عنده حيث الظروف الحياتية أفضل وكان علي كل يوم أن أنتقل سيرا على الأقدام مسافة طويلة ذاهبا للعمل وآيبا منه أرى فيها من القصص والحوادث والمشاهدات الشيء الكثير رأيت الخواء في هذا المجتمع الذي لا يمتلك مقدمات الاستمرارية والبقاء رأيت التهالك على الحياة والصراع على الدنيا والتباغض والتحاسد وتفرق القلوب فترة قاربت على سنتين تلك التي قضيتها في وسطهم بدأت أدرك الأمور على حقيقتها بشكل أدق ولكن الشيء الأهم الذي أدركته دوما وشعرت به دوما أنهم يحقدون علينا حقدا لا حد له يستبيحون دمنا ومالنا وكل شيء له علاقة بنا دون حد، أكثر من مرة حاول هذا أو ذاك أن يسرق عرقي حيث

يرفض أن يعطيني أجرة عملي في آخر النهار أو آخر الأسبوع وبفعل الضغط والتهديد والخوف يضطرون للدفع أخيرا مرات كل يوم لمست محاولاتهم لامتصاص دمي ودم إخواني حتى آخر رمق في العمل والانتاج وبصورة لا محدودة وليس الأمر توقف عند هذا الحد ذات يوم كنت عائدا من ورشة العمل إلى مكان المبيت في الكرمل كانت الساعة قد تجاوزت السابعة مساء والجو ماطر والظلام شديد يكسو المنطقة توقفت إلى جواري سيارة وسألني عدة أسئلة كم الساعة من أين أنت أسئلة فارغة فهمت هدفه منها حين إنطلقت السيارة فجأة محاولة صدمي لولا لطف الله عز وجل بي ثم إنتباهي للأمر قبل وقوع الخطر وحين أفلتت الفرصة منه رأيته يدور بالسيارة من بعيد محاولا الالتفاف مرة أخرى لتحقيق هدفه وكان علي أن أكون حذرا بصورة أكبر فيما بعد وتساءلت ماذا حدث ؟! ولماذا مثل هذا التصرف ؟! ألا تكفي عملية القتل البطيئة التي أعيشها ونعيشها جميعا مرة أخرى كانت في الصباح بينما كنت خارجا متجها للعمل إستوقفني شابان يلبسان الزي المدني إدعيا أنهما من الشرطة ، طلبا مني بطاقة إثبات الشخصية رفضت التفاهم معهما حتى يثبتا أنهما شرطيان إنتزعا مني البطاقة بالقوة وحاولا إستدراجي إلى مكان خال خلف بناية كبيرة لمحت تحت ثياب أحدهما سكينا أدركت الحقيقة وكان علي أن أصارع الصعاب وبدأت في مدافعتهما حيث دخل لمؤازرتي بعض العمال العرب حين توقفت سيارة نقلهم لأماكن عملهم عندما هربا حاولت اللحاق بهما لأن بطاقة هويتي

كانت معهما وانتبهت أنهما ألقياها أثناء فرارهما بعد أن سرقا ما فيها من نقود هي كل ما أملك في تلك الحظة ، عجيبة حياة هذه الشريحة من شعبنا عشتها خلال سنتين مثلي مثل باقي إخواني وأبناء شعبي ننتزع لقمة العيش من بين فكي مصاصي الدماء ونخلصها من بين مخالبهم وهم يصارعون عليها حتى الموت أو حتى أقل درجة حيث النزع قبل الأخير لأخذ أجرة عملي في نهاية الأسبوع أو الشهر ، وأحيانا عائدا إلى غزة حيث السنافور لم يتغير ولم يتبدل ثابتا في مكانه شامخا تطاول السحاب لأمد يدي التي كبرت بالنقود التي زادت كميتها وأصبحت عشرات أضعاف النقود التي جلبتها أول مرة من المطبعة صحيح أن البسمة إرتسمت على وجه الوالدة ولكني لم أر مثل تلك البسمة الأولى ، في تلك الفترة كان شريط آخر من حياتي يمر سريعا والأمور كانت تتطور بي بصورة سريعة ومذهلة كانت نيران الانتفاضة قد إمتدت لتشمل كل مكان ولا أمد ظل دون أن يكون له دور في فعالياتها وكنت أولا من أولئك الكثيرين بدأ شعوري يزداد ويتنامى أن علي أن أعمل شيئا أن آخذ موقعي بين المنتفضين شاركت كما غيري في الأحداث ولكن كنت أدرك جيدا أن مشاركتي هذه خالية من الروح بدأ واضحا أن المشاركة في فعاليات الانتفاضة يلزمها إنتظام في إحدى التنظيمات العاملة قبل هذه الفترة من حياتنا لم أكن أدرك حقيقة وجود تنظيمات أو جماعات كنت أحس أن الناس جميعا شيء واحد ولكن تطورات الانتفاضة المباركة فتحت عيني وعيون الجميع على حقيقة

التميز في الساحة الفلسطينية على حقيقة وجود تنظيمات عدة وأفكار مختلفة غمرني شعور عجيب بوجوب العمل من خلال أحد هذه التنظيمات فأنا واحد من شباب هذا الشعب وهناك شعور يجب الانتماء وكنت أشعر فراغا كبيرا فيه وكان لابد أن يملأ ، بحثت طويلا عن وسيلة تنقلني هذه النقلة ولم أكن أفهم الفارق بين الأسماء الموجودة على الساحة بدأت تجربتي الأولى وقد كانت بسيطة للغاية مع أحد التنظيمات الوطنية لا أرى مبررا لذكر إسم فالتحقت بصفوفه وبدأت أمارس دوري من خلال برامجه وفعالياته خرجت عدة مرات لأكتب الشعارات ليلا على الجدران مع آخرين من أقراني لهذا التنظيم دعوات للاضرابات دعوات لاستقالة العاملين في الدوائر الحكومية وشاركت في بعض الفعاليات الأخرى بصورة بسيطة ولكن على الرغم من وجودي بين مجموعة من الأقران الذين قد تتوفر لي معهم أجواء الصحبة والانسجام والتوافق إلا أنني شعرت شعورا عميقا عجيبا أن هذا الانتماء لم يملأ علي نفسي في شعوري يجب الانتماء ولم أجد ذاك الانسجام والتوافق الذي بحثت عنه طويلا للحق أني كنت أحس شعورا عجيبا بالتناقض بيني وبين ذاتي كانت يدي تندفع محاولة أن توقع إسما آخر بدلا من إسم ذلك الاتجاه الذي خرجت أعمل تحت رايته (إسم حماس) شعورا عجيبا يدفعني للتوقيع بذلك الاسم لم أكن في يوم من الأيام قد إنتظمت في حماس ولم أكن أعرف عنها إلا الشيء البسيط الذي يعرفه غيري من الشارع الفلسطيني في مثل عمري يدي تتحرك رغما عني لتوقع

حماس وأدفعها بقوة وعنف لتوقع ذلك الاسم الذي عملت تحت رايته شعورا عميقا بالتناقض والاختلاف بيني وبين نفسي وبعد العودة للبيت أذكر طويلا لماذا هذا الاحساس ؟ كيف أتخلص منه ألست أدري وقد كنت غافلا عن حقيقة أن القدر يخفي لي شيئا كبيرا مع الأيام القادمة أدركت فيما بعد أن كل ما حولي كان يدفعني دفعا عجيب للقدر الذي إختاره لي ربي ماضي الذكريات أيام السر والنضال في قصص الجدة أيام بئر السبع ساق الجد التي رحل تاركا إياها مع كل ما جمع وبنى وعمر سمع الجدة ذكريات الخال طاهر والخال بدر الأذان خمس مرات من عشرات المساجد يوميا من كل حدب وصوب من حولي صحيح أني لم أكن طيلة ذلك الوقت ملتزما بالصلاة وإن كنت قد داومت عليها فترات طويلة من حياتي ولكني كنت قد إنقطعت عنها أيضا فترات أخرى كل ما في البيت كان يدفعني بقوة الوالدة والأخوات وأنا أراهن في كل يوم مرات يلبسن الثياب الكاملة ويضعن على رؤوسهن الشاشات البيضاء ويتجهن للقبلة لأداء الصلاة كنت أنظر إلى هذا المظهر نظرة تقديس عجيبة وأذكر مريم العذراء أو فاطمة الزهراء ، أذكر يوما أن شخصية رمزية لذلك الاتجاه الذي عملت لصالحه سيتقل التلفاز له كلمة عبر شاشته دخلت الغرفة وأغلقت على نفسي الباب وفتحت التلفاز وبدأت أسمع للكلمات فجأة فتحت أختي باب الغرفة شعرت أنها أصيبت بالذهول لما رأت صرخت في وجهي ماذا تفعل وأغلقت التلفاز وعنفتني بشدة وحدثتني بكلام كبير فهمت مجمله أنها غير مقتنعة بهؤلاء لاحظتني والدتي

وأخواتي وأخي أدهم أنني على علاقة بتلك الفئة وشعرت وبشكل واضح تذمرهم من تلك العلاقة بل وصرحت لي الوالدة مرارا بأنها غير راضية عن ذلك وأنها لا تريدني مع هؤلاء الشباب أو إتجاههم كان أخي أدهم على علاقات لم أدركها بالتحديد مع العديد من الشباب في الحارة لكنهم جميعا كانوا يترددون ويلتزمون بالمسجد والصلاة وبعض الأمور التي لم أكن أدرك حقيقتها وبعدها وكانت أحاديث الوالدة والأخوات صريحة في الاقرار بالرضا عن أدهم وعلاقاته وصداقاته والدائرة التي يتحرك خلالها بدأت عيناي تتفتح بصورة أوسع على حماس خاصة بعد الاعتقالات التي حدثت في صفوف الحركة عام ١٩٨٩م والتي أعتقل فيها الشيخ أحمد ياسين قرأت على الجدران شعارات كتبها أفراد الحركة ممن لم تطولهم الاعتقالات كما قرأ غيري من أهل بلدنا الطيب وأدركت حقائق كثيرة وتفتحت عيناي على قضايا كانت خافية علي فترة طويلة أنا لم أر الشيخ أحمد ياسين مباشرة ولكني سمعت عنه كثيرا ورأيته مرات على شاشة التلفاز كنت أكن له حبا كبيرا واحتراما عظيما دون معرفة السبب الحقيقي وراء تلك المشاعر وكنت أحس بشيء من القداسة في تصوري وخيالي حين يذكر إسم أو أرى صورة أو أقرأه على الجدران كل شيء حولي كل شيء حتى نداء مئذنة المسجد كل المساجد يناديني يهتف بي هذا هو طريقك هذا هو طريقك وبدأت أشعر أنني وضعت قدمي على أول الطريق التي ستصل بي للالتقاء مع ذاتي وللانسجام مع روحي وكياني

روحي كانت تستصرخني تناديني في يقظتي في منامي في رؤياي أن أجتمع بي والحق معي إجتمع مع ذاتك والتق مع روحك وانسجم مع كيانك قدماي تسحباني طوعا وكرها لطريق أعرفها جيدا في أعماق روحي وكل ما حولي من آياد وكلمات وتحريضات تدفعني دفعا لأجد نفسي واقفا بين صفوف المصلين في مسجد السدرة مرة ومرتين وثلاث وهكذا وجدت نفسي بارادتي وبغير إرادتي ألبس حذائي وأخذ قطعة القماش تحت ثيابي وأخرج للمسجد يوم أشعر أن الشباب يتهممون لعمل ما وهناك في المسجد في صف الصلاة وبين جميع الشباب بدأت أعثر على ذاتي والتقي مع روحي وأنسجم مع كياني اكتشفت أن هذا هو مكاني المناسب لي ولغيري من أمثالي من أبناء هذا الشعب المعطاء وضعت قدمي على بداية الطريق وكان لزاما علي أن أواصل الطريق حتى آخره ترددت على المسجد كثيرا أصبحت علامة ملازمة له وانتظرت طويلا شعرت أني انتظرت عشرة قرون انتظرت أن يأتي أحدهم يضمني لأصبح جنديا بحق وحقيقة في هذه الكتيبة انتظرت وانتظرت وانتظرت وسئمت الانتظار وانفجرت بي روحي فتقدمت بنفسي أعرض نفسي جنديا لحماس نعم طلبت ذلك بلساني شعرت بالكلمات تتدافع تتطاير لا من اللسان بل من أعماق القلب من الروح وانفجرت على مشاعري ولم أعد أطيق صبرا فقد اكتشفت روحي والتقيت معها فهل يصح لي أن أعاود الافتراق عنها أصابني الذهول والعجب وأنا أرى أبو صائب وقد عرضت نفسي عليه وقد كنت أظنه

سيتلقى خبر إستعدادي أن أكون جنديا في حماس بتلهف وشغف فاذا به يقابلني ببرود أعصاب عجيب ويجيبني إجابة قاتمة لم أفهم منها شيئا محددا هل وافق ؟! هل رفض ؟! هل نفى علاقته بحماس ؟ هل وعدني ؟ هل قطع الأمل لدي ؟ وهل إستطعت أنا أن أعثر على صفاتي المنشودة وأمسك بطرف الخيط الذي سيوصلني إلى هدفي الذي أريد ؟ عشت أياما طويلة أخرى شعرت أنها عشرات القرون دون أن أجد الاجابة على تلك الأسئلة العديدة التي كانت تدور بخاطري وانتظرت فكرت جيدا ماذا أعمل وكيف السبيل لاتمام هذا اللقاء والذي بدأت أشعر مع روحي وكياني الآن فقط عشرت على ذاتي كاملة وتعانقت روحي العناق القدسي الخالد اليوم فقط عرفت سر تلك الدموع التي كانت تنهمر من عيناي وأحاول حبسها فلا أستطيع عرفت الجواب الصريح على ذلك السؤال الذي حيرني وأرق جفني عرفت السبب الذي فجر عواطفي وأثار كوامن الحب في نفسي لفلسطين الطهر والبركة كل شيء في فلسطين عرفته يوم التقيت مع روحي وعثرت على كياني لقد التقيت مع روحي والتقينا سوية مع النداء العلوي الخالد هتاف التكبير والتقينا جميعا مع فلسطين الأنبياء التقينا في أروع لقاء يشهده الكون الذي عرفت فانفجرت مشاعري وفاضت أحاسيسي وتدفق الدمع لا من عيوني فحسب بل ومن قلبي فهمت ذلك ولمسته بقلبي وروحي بل وبيدي يوم أدركته أني أصبحت جنديا في حماس يوم تقدم إلي أبو سليم عارضا علي الانطواء تحت راية هذه الكتيبة المؤمنة لم

أعرف بما أجيب وهل يلزم الاجابة ؟ لقد طرت بعيدا جسدي أمامه وعيناي شاخصتان فيه ولكن عقلي وروحي تحلقان في أعناق السماء مع الملائكة مع النبيين مع الصديقين مع الشهداء روحي تلتقي هناك بروح الشيخ الذي لم أره في حياتي مباشرة مع روح الشيخ أحمد ياسين في زنزانته معزولاً عن الدنيا لتقسم له اليمين أني سأكمل المشوار مهما كان الثمن ومهما عظمت التضحيات إذا فقد أصبحت جنديا في حماس لم أكن أدرك معنى ذلك جيدا ولا يهمني أن أدرك ذلك كل همي أني وجدت ذاتي والتقيت مع روحي وعرفت سر الدموع التي فجرها نداء الحماس بسم الله الله أكبر بسم الله قد جاءت خيبر .. خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود ، أدركت أني إلتقيت بروحي في جيش محمد الذي عادت طلائعه بي وباخواني أبناء الحماس أصبحت جنديا في حماس يا الله تحقق حلمي الذي طالما أرق جفني وأقض مضجعي وفي عيني تجمدت الدموع لم تعد قابلة للانسكاب وتساءلت عن السبب بيني وبين نفسي فجاءني الجواب من عروقي من كل قطرة في دمي أن المطلوب اليوم شيء أخر غير الدموع أثمن من الدموع شيء أخر تطلبه الأرض الطاهرة يعشقه الثرى الطيب شيء أخر ، منذ ساعات الصباح الباكر خرجنا لنعد العدة ليوم طويل من الصدام والمواجهة أعددنا إطارات الكاوشوك ، كتل الحجارة والبراميل الفارغة وكميات كبيرة من الحجارة ومع بداية بزوغ الشمس ألقينا ذلك كله في الطريق وارتفعت ألسنة اللهب الحمراء وسحب الدخان الأسود القاتمة ترسم على

صفحة السماء لوحة الانتفاضة المباركة ، كان ذلك في شارع صلاح الدين الواصل بين نخلات المنتزه ومنارة السنافور في منتصف المسافة تقريبا وفجأة أطلت سيارات جيش الاحتلال وترجل الجنود وشهروا بنادقهم وصوبوها نحونا وبدأ إطلاق النار تمترسنا خلف الجدران والبراميل وأعمدة الكهرباء وانهالت حجارتنا عليهم من سجيل لقد أصيبوا بالسعار آلاف الطلقات قذفت بنادقهم وعشرات قنابل الغاز وهتاف التكبير يصدح في عنان السماء من حناجرنا الصغيرة خاصرتي نعم لقد امتزجت بالأرض يا الله هذا دمي ينهمر ليروي ثرى البركة إذا فهذا الذي تطلبينه بدل الدمع لقد أصابتني إحدى رصاصاتهم البلاستيكية واستقرت في خاصرتي شعرت بروعة وجمال الالتحام والعناق بين ثلاثتنا أشرف ، حماس ، فلسطين ومن حولي كانت تتردد أحلى أنشودة سمعتها على نغم الرصاص ذاك هو لحن الحماس بسم الله الله أكبر بسم الله قد حانت خيبر شعرت أن الجرح لا يؤلمني بل يشكل لي متعة وروعة وبهاء ، أحسست أني حريص على أن ينزف المزيد المزيد من دمي ليروي الثرى العطش الطيب إختفيت قليلا في بيت مجاور ثم نقلت لبيتنا حيث ضمدت الجرح بصورة مؤقتة وعند العصر ذهبت للمستشفى الأهلي حيث أخرجوا الرصاصة من خاصرتي وتلقيت الدواء اللازم إعتدنا أن نلبس زي حماس ونضع على رؤوسنا القناع ونخرج عند المساء أو قبل الفجر لنكتب الشعارات على الجدران أو لنعد لمواجهات اليوم ها أنذا في ركب كتيبة الحماس ألبس زيها وأضع على رأسي

قناعها وأرفع شعارها وأركب الخطر في سبيل رفع رايتها راية القرآن ولكني ولاعتبارات تحكم منطقة سكناي حرمت أن ألبس الزي الموحد وأن أخرج في مسيرات الحركة الاستعراضية كما يحدث في المناطق المكتظة بالسكان مثل المخيمات لقد كانت أمنية لي أن أصطف في واحدة من تلك الكتائب التي تلبس الزي الموحد وتطوف الشوارع في تلك المناطق في هيئة الجيش النظامي كانت تعتريني رعشة وتغمرني الحسرة حين أسمع الأحاديث عن تلك الظاهرة وأحد إخواني الذين يتمكنون من فعل ذلك فطبيعة منطقتنا كانت تفرض علينا أن نعمل في الليل عادة فمنطقتنا قريبة من الطريق الرئيسي والشوارع كلها واسعة لا يسهل الاختفاء فيها والتمترس في ثناياها إن حدث طارىء لكن زينا وأقنعتنا على بساطتها كانت تعوضني شيئاً مما أحب وأتمنى مشاعر عجيبة تغمرني وأنا ألبس الزي واضع على رأسي القناع وأعمل بين إخواني أكتب الشعارات وأحضر المتاريس أو ... أشعر بارتباطي في هذه الأرض التي روتها دماء الأجداد دماء الأنبياء وأتباع الأنبياء دماء الشهداء والصالحين دماء أصحاب رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم وأشعر بعمق الانتماء بقوة الارتباط وأجد الاجابات الشافية لكل ما يجول بخاطري وما كان يدور بخلدي من أسئلة واستفسارات في أحد الأيام تنادينا على عجل فقد جاءنا خبر أطار من رؤوسنا العقول لبسنا زينا وأمتعتنا ونزلنا للشوارع في كل المناطق وخلال لحظات كانت قد إشتعلت الأرض ناراً في كل مكان كانت واحدة

من المرات النادرة التي نلبس فيها الزي والقناع في النهار ولكن الأمر كان خطيرا ومذهلا ومحيرا بل ومبكيا فقد وصلنا خبر مفاده أن الشيخ أحمد ياسين قد استشهد في زنزانته خفقت القلوب وانهمر الدمع من تحت الأقنعة سحا إذا فقد رحل الشيخ إلى ربه بعد أن أودع في أرواحنا الحماس وأشعل في أعماقنا العشق عشق الالتحام بالأرض الطاهرة والثرى الطيب كان يوما عجيبا غنيفا لم أشهد له مثيلا من قبل ، وعند المساء تنفست الصعداء كما غيري من جند الحماس حين علمنا أن الخبر لم يكن صحيحا وفهمنا خطورة فعلنا من حرص أجهزة إعلام الاحتلال على التأكيد أن الشيخ حيا وبصحة جيدة قلت أني كنت أكن للشيخ حبا عظيما وتقديرا كبيرا حتى قبل أن أصبح جنديا في حماس وقلت أني كنت أشعر بمعنى أشبه بمصطلح القديسين حين أسمع الاسم وقد زادت تلك المشاعر مني يوما بيوم كنت أجد المتعة العظيمة وأنا أرسم حروف إسم الشيخ الذي ربى في حب الثرى الطاهر والطموح للمجد وأجد نفسي مضطرا أن أكتب زيادة على ما طلب مني على الجدران بعلبة الطلاء بعض الكلمات التي أجدها لازمة وضرورية عنيفة ، شرسة وغير ذلك حين أخرج مع إخواني ندعو للمواجهات يوم موعد محكمة الشيخ يد الله هي التي كانت ترسم لي صورة الغد الآتي في أحد الأيام ضبط أحد أفراد مجموعتي وهو يكتب الشعارات على الجدران حيث ألقت قوات العدو القبض عليه ومن خلال التحقيق تكشفت بعض الأمور عن مجموعتنا فاعتقل أفراد المجموعة وبقيت وحيدا من بينهم لم أعتقل

لم أعرف السر أنذاك ولكني عرفته فيما بعد حين اكتشفت أن يد الله ترسم لي شيئا أخر وأن الله عز وجل قد إصطفاني ليضع سبحانه وتعالى على صدري وسام شرف الجهاد وعلى جبيني نيشان الذبح .

الفصل الثالث : الدم يطلب الدم

كنت منهمكا في أداء عملي الروتيني في مخزن الألمنيوم يافا حيث أعمل منذ فترة في ذلك الصباح أشرق من بداية إسبوع العمل الجديد من صباح الأحد ١٩٩٠/٥/٢٠ حين علمت بخبر المجزرة البشعة ، الأخبار لم تكن واضحة وكاملة ولكني فهمت أن يهوديا قد فتح نيران بندقيته الأتوماتيكية على مجموعة من العمال العرب في موقف العمال في منطقة عيون قارة التي أطلقوا على تسميتها بالاسم العبري (ريشون ليتسيون) أي الصهيوني الأول إذا أن اليهود فئة منهم لا تشبعهم ممارسة القتل البطيئة التي تمارس ضدنا كشعب بل تريد أن يكون الموت سريعا وخلال لحظات بسيطة يسقط العديدون من إخواني شهداء برصاص الحقد المسعور ليس إلا لأنهم جاءوا يصارعون على لقمة عيش أطفالهم ينتزعونها من بين فكي الوحش يخلصونها بأيديهم وأسنانهم من بين الغربان والبوم من بين أظافر وأنياب مصاصي الدماء إذا ماذا كانت جريمتهم ؟ وماذا كان ذنبهم الذي إقترفوا كنت واثقا أنهم جميعا لم يقترفوا ذنبا يستحقون جزاءه القتل فأنا واحد من أولئك العمال المنتشرين في مرافق مصانع وشركات وورشات المحتل نبني دولته ونشيد حضارته سعيا وراء لقمة العيش

انا لا اذكر انني شاركت يوما في سفك دم إنسان أو حتى جرحه سواء كان عربيا وحتى يهوديا ورغم أنهم فعلوا الذي فعلوا منذ عرفتهم أرضنا الطيبة هذا كانت جريمتهم اجل إنهم من شعب ثار يرفض الاحتلال وانتفض يطالب بحقوقه في العيش على أرضه بعزة وكرامة وان ينال حقوقه السياسية التي تتمتع بها كل شعوب الأرض لكنها شهوة سفك الدماء تلك صفة أصلية في نفوسهم كراهية الناس كراهية الحياة كراهية الحق هؤلاء قوم لا يستحقون الحياة نعم لا يستحقون الحياة هؤلاء أعداء الحياة وأعداء الانسانية وأعداء أنفسهم حتى دارت الأفكار بخاطري وأنا أتلقى خبر المجزرة وتصاعد الدم الساخن إلى دماغي شعرت برأسي يكاد ينفجر الدم يغلي في عروقي قدماي لم تعد قادرتين على حملي ودار بذاكرتي شريط طويل طويل من الذكريات بدءا بالرحيل الذي إضطر له جدي تاركا إحدى ساقيه في بئر السبع الدار التي نسفت سمع الجدة الذي طار ، عشرات الاف قنابل الغاز التي تنهال يوميا على أهلي ، ملايين الطلقات من كل الأنواع تستقر في أحشاء إخواني وقومي على إمتداد كل أزقة الوطن المنتفض يطالب بحقه في الحياة الحرة الكريمة الصفعة السوداء التي صفعني إياها ذلك الشرطي في شبيرا محاولات دهسي بالسيارة قصص القرصنة التي يمارسها جميعهم في كل يوم وبرامج الارهاب والقتل المنظم والمخطط التي تمارسه دولتهم عندنا يوما بيوم خلال ثوان دار ذلك الشريط الطويل بذكريات السريرة في ذاكرتي وأنا أتكيء على أحد الكراسي إلى جواري ، هم

من حولي يضحكون ويشربون القهوة والشاي ويقهقهون في غاية السعادة والسرور كثيرة تلك الذكريات المريرة التي إنطبعت في ذاكرتي ولن تنمحي أبدا والتي سرعان ما تقفز لقطات منها أمام مخيلتي أمام أي حدث يفجر ينبوع الذكريات واحدة من تلك اللقطات التي تقفز أمام خاطري كل يوم مرات ومرات تقفز وأراها ماثلة أمامي حين أرى سياراتهم المدججة بالجنود أو مصفحاتهم تبدو خوذات جنودهم وفوهات بنادقهم منها تقفز أمامي حين أسمع أصوات هدير ماتورات سياراتهم تجوب شوارع الحارة ليل نهار تمزق الصمت إلى رعب بالفجر الوليد تقفز أمامي حين أرى حتى لون ملابس جيشهم أراها أمام خاطري حين أراهم على إمتداد أرضنا التي سموها إسرائيل يتمتعون ويلهوون ويضحكون ويعيشون ويعمرون ويبنون تلك اللقطة كنت قد رأيتها على شاشة التلفاز عقب مجزرة الأقصى حيث منع الجنود أهلنا من دخول المسجد لأداء الصلاة دافعهم الناس فدفعهم الجنود ، دفع الجنود أحد كبار السن فتدحرج الشيخ على الأرض وهو يهتف مسجدنا تلك اللقطة الشيخ يتدحرج على أرض باب المسجد الأقصى وهو ينحب بكلمة مسجدنا فرق النظر يوم رأيته شغاف قلبي وحزت الكلمة عبر أذناي كالرصاص واستقرت في أعماق قلبي نارا رمادا دمعا تجمد كادت الدموع تنهمر من عيناي حاولت حبسها فوجدتها قد تجمدت قبل أن أحبسها تجلدت تحولت إلى نار فجرت في مجزرة الأقصى نارا بركانا أفضى أن أبدأ التفكير في الدنيا منطق ومنهج جديد في عروقي تحول

كان شيئا وأصبح شيئا أخر لقطات كثيرة تقفز أمام خاطري كل يوم عشرات المرات حتى حين أسمع مجرد لغتهم حين أسمع العبرية حين أسمع أي لفظة واحدة منها تقفز إلى خاطري صور جثث وأشلاء شهداء وجرحى عيون قارة تقفز أمام مخيلتي صور الشهداء على أرض الأقصى الطاهر الشريف تقفز أمام مخيلتي صورة الشيخ يتدحرج على الأرض وتمزق كلمته مسجدنا قلبي تقطعه شعلة نارا صور الجنود يدفعون أمهاتنا ويلطموهن صورهم يكسرون عظامنا صورهم يدفنون إخواني أحياء صور كثيرة لا حصر لها لا حصر ، كانت الحوادث أمامي كثيرة تشكل تصوري للحياة أو تشارك في تشكيلة هذه الحوادث كانت أحد العاملين اللذين شكلا فهمي الجديد ونفسيتي الجديدة ومنطق فهمي للحياة عامل أخر تلازمه على هذا العامل في ذلك التكوين فهم جديد شربته وارتويت منه إصطبغت به روحي وكياني إختلط به دمي أصبح جزءا هاما مني بل أصبح هو كياني ذلك هو فهمي لبعد ودلالة جنديتي في حماس قبل الانتفاضة حتى قبل إنتفاضي في حماس لم أكن أدرك البعد الحقيقي للصراع في المنطقة لم أكن أفهم المعنى الصحيح للعداء الذي يكنه لنا الأعداء ولا للحرب التي يديرونها ضدنا بكل ضراوة ودون أي شعور من شفقة أو رحمة لم أكن أدرك المعاني الحقيقية للأشياء فكنت أتسال مثلا لماذا هذا الاجرام في مواجهة الانتفاضة بهذا العنف وبهذا السفك للدم ؟! لماذا هذه الاعتقالات ؟! لماذا هذه السياسات التي لا تتفق مع أدنى إحساس باحترام كرامة

الانسان لماذا لا يريدون أو لا يصلون باعطائنا الحد الأدنى من حقوقنا ؟! لماذا يصرون على البقاء في غزة مثلا ويستميتون في سبيل ذلك ؟ أدركت الأن الاجابة الحقيقية لا على تلك الأسئلة فهذه الأسئلة وملايين مثيلاتها لم تعد تعنيني من قريب أو من بعيد وإني على سؤال واحد هو ماذا نريد نحن من وراء كل هذا ؟ أدركت الاجابة الحقيقية يوم إنتسبت إلى حماس ولبست زيها ووضعت قناعها على رأسي ونقشت إسمها على جدران قلبي لا بالطلاء ولكن بالنور كنت أظن أننا نريد من ذلك أن نضغط عليهم لينسحبوا من غزة والضفة لنعيش بهدوء وراحة من إرهاب جيشهم ومخابراتهم كنت أتصور أننا نريد العيش بأمن وسلام وهدوء وأدركت اليوم أن شيئا أخر هو الذي نريد شيئا أخر فرضه علينا فهمنا لدستور الحماس القرآن وقتها أدركت السر في بشاعتهم في إجرامهم في مجازرهم إنها معركة حضارة معركة عقيدة معركة مصير أدركت أننا نحارب قوما ليسوا كغيرهم من الناس قوما أعماهم شعورهم بالتفوق على الناس كل الناس أيا كانوا ، قوما نظروا فرأوا أنفسهم نموذجا أخر من الخلق رأوا أنهم أبناء الله وأحباؤه ولن يعذبهم الله أبدا رأوا أنهم شعب الله المختار رأوا أنهم ليس عليهم في الأميين سبيل فلا ذنب عليهم إن قتلوا الأميين (غيراليهود) ولا جريمة يرتكبون إن سرقوا الأميين ولا إعتبار عندهم بمص دم الخلق كل الخلق أدركت طبيعة هؤلاء القوم الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة فليت الأمر توقف بهم للتطاول على

خلق الله أو على أنبياء الله لقد وصل الأمر بهم وهم يشعرون بتلك النظرة العنصرية أن يتطاولوا على رب العالمين وكيف بعد ذاك يمكن أن ينظروا لنا ونحن القلة المغلوبة على أمرها ؟!! فهمت جيدا سر تلك النظرات التي كانوا ينظرونها إلي وإلى عشرات الآلاف من إخواني العمال ليست نظرة السيد للعبيد فحسب وليست نظرة الآدمي للدواب فحسب أدركت سر تلك النظرات سر تلك المحاولات التي تعرضت لها وتعرض لها الآلاف في كل يوم من محاولات مص دمهم وسرقة عرقهم وتجريدهم من جلودهم في مسلخ العمل على إمتداد فلسطين المحتلة كنت قد سمعت عن الاحتلالات الاستعمارية لدول العالم العربي وقرأت شيئا عنها في كتب التاريخ المدرسية ولكني لم أحس أن أمة أخرى في العالم تحس إحساسهم وتعيش بشعورهم نازيوا ألمانيا فاشيوا إيطاليا أكلوا لحوم البشر ليسوا كذلك هؤلاء قوم آخرون شيء آخر تماما الشيوعيون ينكرون وجود الله لكنهم لم يصلوا إلى درجة هؤلاء في التطاول على الله باتهامه بالبخل أو بأنه فقير أي قوم هؤلاء الذين يرون أنهم يتفوقون حتى على الله وأي عنصرية هذه التي يعيشون أو تعشش في قلوبهم لم يعد لكل تلك الأسئلة مبرر فكلها معروفة الاجابة بل لا مبرر للتفكير بمنطق تلك الأسئلة أصلا أصبح رأسي ينضج من جديد في ظل مفاهيم الحماس التي شربتها وإخواني في هذه الكتيبة المؤمنة على موائد القرآن في مسجد السدرة ، الأيبكي ، إبن سلطان ، إبن مروان ، إبن عثمان ، الدارقطني ، في كل

مساجدنا على إمتداد فلسطين الأنبياء أخذ رأسي ينضج وتزيد سرعة نضجه تلك اللقطات التي سرعان ما تقفز أمام ناظري أمام كل حدث والتي في كل يوم تضاف اليها عدد جديد من اللقطات الجديدة من صور البشاعة الدموية وكراهية الانسان منهج آخر جديد تماما بدأ يتشكل في كياني عقل آخر بدأت أحس أنه يحتل فراغ رأسي قلب آخر يحتل قلبي نعم قلب آخر إحتل قلبي هل أصبحت دمويا أو مجرما هل أصبت بمرض السادية ؟ هل أصابني سعار من الجنون ؟ تسألت كثيرا وأنا أشعر بذلك العقل الذي إحتل عقلي والقلب الذي غزا علي قلبي هل أصبحت أحقد على الانسان ؟ هل كرهت الانسانية ؟ لا تحسست قلبي فوجدته عامرا بحب الخير للانسان لكل الناس وجدته فياضا بالمشاعر النبيلة الطيبة الأصيلة في حب الخير عشق الانسان عشق الأرض وكل ما على الأرض حب السعادة للناس كل الناس تحسست قلبي مرارا وتكرارا خشية أن أكون قد أصبت بمرض نفسي يدفعني للتفكير بعنف وقوة فوجدته دوما عامرا ، القلب الطيب الرطب الندي لكل الناس للحياة للانسان للأرض وأدركت أن من حب الحياة من حب الانسان من حب الأرض أن تبغض الموت أن تمقت التوحش أن تمقت أعداء الحياة أعداء الانسان أعداء الأرض أدركت المعنى الأخلاقي العظيم الذي من أجله شرع عز وجل الجهاد في سبيله وحرض المؤمنين على القتل والقتال والبحث عن الموت في سبيله المعنى السامي الرفيع الذي من أجله خرج أولئك المجاهدين منذ فجر التاريخ ومنذ بدء الرسالات

يحاربون الشيطان وأولياء الشيطان ويقتلونهم ويموتون بأيديهم ، أحيانا فيذهبون الى ربهم شهداء عظماء صديقين هذا الركب الطاهر من الأنبياء وأتباع الأنبياء الذين إختارهم الله عز وجل واصطفاهم وحملهم رآيته تقدموا بذلك المعنى الأخلاقي الرائع في قتال أعداء الحياة أعداء الانسان أعداء الحرية أعداء الجمال في كل الكون الجميل ، المعنى السامي الرفيع في حرب مصاصي الدماء قراصنة البشر قطاع الطرق سارقي الدم والعرق والله عز وجل عد قتلهم وقتالهم عبادة بل ورأس العبادات كلها أدركت أني بنمو مفهومي هذا انما أفهم المعنى الحقيقي للحياة أدركت معنى ذلك الخفق العجيب في فؤادي حبا للحياة ، للانسان ، للكرامة ، للحرية وذلك الحقد على أعداء الحياة والانسان والكرامة والحرية الذين لا يفكرون الا بمنطق التجار وسماسرة البورصة وقطاع ورؤساء العصابات ومديري الارهاب أدركت أني لست إرهابيا حين ينمو عقلي ذلك النمو من التفكير لست إرهابيا يروع أو يسعى لترويع الأطفال والنساء ولكني يد الحق التي يجب أن ترهب المجرم أدركت أني الدافع عن الحق أحارب جزارين يعشقون الذبح فقط أدركت أني رحيم رحيم إلى أبعد حد ليس بنفسي فقط ولا بشعبي وأهلي الذين يقتلون كل يوم فقط لكن بهذه الانسانية جمعاء حين أنهج مثل هذا النهج في التفكير إتجاه أعداء الانسانية بدأت أدرك جيدا أني وأمثالي رسل رحمة ودعاة إنسانية حين نفكر في تخليص الناس من أعداء الناس أعداء الحرية الانسانية الكرامة عشاق إستعباد الخلق أو إستحمار الخلق الذين

أعماهم شعورهم بالتفوق والعنصرية حتى جراهم على التطاول حتى على الله أدركت إذا أننا نخوض حربا مقدسة تستمد شرعيتها من رب العالمين الذي أعطانا الاذن في ذلك ، " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير " نعم فها نحن نقاتل بل ونقتل كل يوم يقتل أطفالنا حتى في أرحام أمهاتهم تقتل نساؤنا بالليل والنهار يقتل رجالنا ليس الا لأنهم يطالبون بحقهم في العيش بكرامة الانسان حربنا هذه معهم حرب طهر وقداسة أعطانا الاذن فيها مولانا العزيز الجبار كما أعطاه من قبل لخير خلقه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذبحهم ذبح الخراف يوم وجدهم يتربعون على عروشهم من جماجم الناس ولا يستطيبون العيش الا بعد أن يأخذوا جرعاتهم اليومية من دم الناس البؤساء كما هم اليوم تماما معركتنا هذه ليست معركة مع محتل أرض فقط بل أيضا مع مصاصي دماء وسارق حليب الأطفال اكل لحوم البشر تربع على الجماجم ولكن كل ذلك في صور عصرية يحاول أن يغلفها بأغلفة مختلفة يفلح أحيانا في خداع الناس وينفضح أحيانا أخرى بدأت هذه المفاهيم تنضج في رأسي وبدأ رأسي ينضج بها رويدا رويدا مع تجذر إنتمائي وفهمي للحماس ومع ما أرى كل يوم من صور البشاعة التي تصدق ذلك وتأتي له البرهان الدامغ والدليل القاطع وليس غريبا أنه فور أن يثبت المفهوم في دماغي أن أسعى للتنفيذ فقد تعلمت ذلك من طفولتي يوم عملت وتعودت كل يوم أن أذهب بعد عودتي من المدرسة للعمل في المطبعة وفي الطريق أقضم

سندويتش غذائي لم يكن غريبا أن تبدأ عيناي تدورا في كل مكان أنزل فيه أو أمر به بحثا عن الهدف المناسب والنقطة الأكثر تأديبا بحثت في الطريق والسيارة تنقلني للعمل ومنه بحثت وقدماي تنقلاني هنا وهناك بحثت وبحثت وأخيرا وجدتها وجدت الهدف الأنسب لي والأوجع لهم !! مدنيون لا ضير فليس عندهم مدنيون فكلهم كلهم جنود يحملون السلاح لقتلنا كلهم يقذفون قنابل الغاز لخنق أمهاتنا وأطفالنا في الأرحام كلهم يقتحمون المستشفيات ويقتلون المرضى والمصابين بالغازات السامة والخانقة مدنيون ؟! أي مصطلح تافه هذا الذي يريدون باشاعته أن يؤمنوا جبهتهم الداخلية التي أشد ما يؤلمهم الضرب فيها ثم أي مدنيون هؤلاء الذين قتلوا إخواني في عيون قارة أي مدنيون هم المستوطنون الذين يبثون الرعب والقتل في كل أزقة الخليل والقدس ونابلس وغزة مدنيون ؟ أي مدنيون هؤلاء الذين يمتصون دمي ودم إخواني ويتربعون على جمجمتي وجماجم أحبابي ويعيثون في أرضنا الفساد والاجرام والرذيلة ؟ أي مدنيون هؤلاء الذين يحرقون قلبي وقلب أختي وهم ينشرون بين أبناء قومي المساحيق السامة والمخدرات القاتلة التي يحاربها كل عاشق للانسانية مدنيون هؤلاء الذين يشيعون في أهلي وقومي الرذيلة والجريمة والعمالة والخيانة ؟ مدنيون هؤلاء الذين أباحوا حرماتنا وانتهكوا أعراضنا بشتى الصور المستورة منها والمفضوحة ؟ مدنيون ؟! دعنا من هذه المصطلحات الفارغة وجدت هدفي مكان أعرفه جيدا أكثر مكان أعرفه

في أرضنا حشاشين فترة قاربت على سنتين لست فيها العنصرية في كل شيء رأيت في عيونهم الحقد على كل شيء إلا أنفسهم رأيت في عيونهم شراسة مص الدم دمي ودم أخي أدهم ودم أبناء شعبي رأيت في أظافرهم بقايا لحم أكتافي وأكتاف العشرات من إخواني وأبناء شعبي رأيت وجوههم الشوهاء تطفح بالدم الذي ترعرع بعد أن مصوا وسرقوا عرقي وسحقوا عظامي وجدت الهدف وبدأت الفكرة تختمر في خيالي رويدا رويدا ومع كل يوم مع كل حادثة تزداد إرادتي إصرارا وفي كل لحظة يقفز شريط الذكريات أمام مخيلتي وتتوالى الصور واحدة بعد الأخرى فتزيدني إصرارا مع إصراري وتلهب صدري بنار الثأر لكل أولئك الأبرياء إختمرت الأفكار ووضعت الخطة وقررت التنفيذ ووجدت نفسي في حاجة للأنيس يؤازرني ويشد أزري ولا عجب في ذلك فهذا نبي الله موسى عليه السلام يطلب ذلك من ربه " واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري " لم يطل بي البحث عن ذلك الشريك فقد وجدته منذ اللحظة الأولى الأخ مروان الزايغ ولا غرابة في إختياري له دون غيره محبة أعرف فقد كان أول من عرفت من أعضاء حركتي حماس بعد أن أعتقل أفراد خليتي الأولى فقد جاء واتصل بي حين ضمني للمجموعة الجديدةحيث كنت الوحيد الذي لم يعتقل من بين إخواني أعضاء الخلية الأولى فطالما خرجت معه نلبس زي الحركة وقناعها لنكتب الشعارات على الجدران ليلا أو نهارا أو لنقوم بدورنا في فعاليات الحركة هنا أو هناك

صارحت مروان بالأمر فأبدى إعجابه به وطلب إليّ التريث قليلا وغاب لست أدري إن كان قد إتصل بمسئوليه فقد كان هو مسئول خليتنا الجديدة وعاد لنبدأ التخطيط وبصورة عملية هذه المرة تكفل هو باحضار السكاكين وطمأني أنهما جاهزتين وبالصورة التي أحب تحاورنا حول إختيار التوقيت الأنسب لتنفيذ عمليتنا هذه كان فصل الشتاء على الأبواب وفي الأيام القريبة تمر ذكرى الانطلاقة الرائعة لحركتنا الرائدة حماس التي ربت فينا الرجولة والفروسية ربت في روحي فحق علي أن أبذل في سبيل رفع رايتها تلك الروح كل الأصابع كانت تشير لنا على التوقيت الذي لا خلاف عليه أن نقدم عملنا هذا هدية لكل الأحبة في حماس ولكل الأحبة على إمتداد فلسطين النازفة في ذكرى إنطلاقة حماس يوم الميلاد الرائع المتهيب ذكرى الانطلاقة هذه تشير في النفس معان كبيرة وعظيمة ولا بد أن يقف المرء معها مقفات ووقفات هذه الانطلاقة المباركة تعتبر بحق نقطة تحول مصيرية في حياة الشعب الفلسطيني ومسيرة جهده وجهاده فلطالما عانى هذا الشعب وقدم وكافح وضحى وبذل الكثير دون كلل أو ملل تحت رايات شتى غير رايته الحقيقية التي تمثل إمتداد تاريخه وتراثه وأمجاده بعمق وأصالة وهو من خلال الانطلاقة المباركة يتحول جذريا إلى ذلك العمق بدلالته وأبعاده وفي هذا إيذان واضح وصريح بقرب الأوان لأن تنزل كل تلك الرايات التي إرتفعت على غير هدى من الله ولا برهان مبين وهي إشارة البدء في الاعلان عن القدوم الباهر الكبير للمعركة الفاصلة للوعد

الآخر التي أخبر بها رب العالمين وبشر بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم معركة " فاذا جاء وعد الأخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا " ، "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله " وذلك يعني بصراحة ودون مواربة أن بداية نهاية الكيان المسخ قد دخلت وأن العهد لهذا الكيان الفاسد قد بدأ بصورة عملية .

× حماسنا هذه حين إنطلقت كان ذلك إيذانا بانطلاقة قافلة الفرسان ، الورثة الحقيقيين لرسالات السماء وأتباع الأنبياء وورثة الدم القاني الذي سطر على هام الزمان أسمى آيات الفخار إنطلاقة عشاق الشهادة وصناع الموت الذين يعرفهم عدوهم جيدا بذلك والذين قال فيهم موشيه ديان يوم دخلت كتائبهم فلسطين عام ١٩٤٨ هؤلاء قوم جاءوا ليموتوا أما نحن فقد جئنا لنعيش فهي إنطلاقة كواكب الفرسان الذين جاءوا للموت وللموت فقط هذه الانطلاقة جاءت تلبية لنداء الله تبارك وتعالى لنا بالنفير والجهاد والخروج تحت رايته تلبية لاستصراخ المقدسات تئن تحت وطئة الظالم المستبد والحاقد إستجابة لنداء الأرض العطشى التي طالما إرتوت بالدم الطاهر الزكي على مدار التاريخ وأن لها الأوان لترتوي مرة أخرى بذات الدم دم حملة راية التوحيد أبناء الأنبياء ذكرى الانطلاقة تفجر النفس معان عظيمة ودلالات غاية في الايحاء والأهمية فقد إنتهت مرحلة الغثائية واللاإنتماء والعمل الغير هادف من حياة الشعب الفلسطيني العظيم

وبدأت مرحلة جديدة جدة كاملة هي مرحلة الحماس مرحلة الاسلام العظيم وحملته الأبرار إنطلاقة حماس حدث يهم الوطن الاسلامي الكبير مفخرة لكل أولئك الذين يدركون تلك الدلالات والمعاني لذلك الحدث المصيري الذي يرتبط به مصير المنطقة ويتحدد بناء شكل وطبيعة الصراع خلال السنوات القادمة وفي ذكرى الانطلاقة هذه حق على كل أولئك الذين يدركون تلك المعاني السامية التي أدركتها روحي وقلبي وعقلي ولا أستطيع التعبير عنها مهما أوتيت من البلاغة كل أولئك الذين يدركون تلك المعاني الرائعة وجب عليهم أن يقفوا وقفة الاجلال والاكبار في ذكرى الانطلاقة ولما كنا ندرك أن علينا أن نقف تلك الوقفة في الذكرى الرائعة لذا وجب علينا أن نقدم قرباتنا في ذلك العيد البهيج لنشارك هذه المرة في إشاعة البهجة باراقة الدم أدركت وأخي مروان عمق تلك المعاني وعظمتها ودلالتها فكان لزاما علينا أن نتقدم لحركتنا ولاخواننا الجند تحت رايتها ولأبناء شعبنا المعطاء الذي ثار الحماس في صدره فخرج لا يلوي على شيء ولأبناء أمتنا المسلمة لتفتح عينيها على هذه الجبهة الصعبة الحرجة لكل أولئكم رأينا أن نقدم هديتنا وأن نذبح أضحياتنا بعد أن نصلي فجر اليوم الأول من العام الرابع للانطلاقة المباركة رأينا أن نذبح قرابيننا صباحا مجرمي الاغتصاب وكيان المسخ مع ساعات النهار على قدم واحدة مطاطئة الرأس حاسرة العين قاطبة الجبين ولترقص قلوب كل الأحبة على إمتداد فلسطين النازفة كل أولئك المقهورين المسجونين المعذبين

المصابين الذين مصت دمائهم سرق عرقهم وسحقت عظامهم ولترقص قلوب كل أولئكم جميعا طربا للخبر حين تطيره وسائل الاعلام ثم ليقف كل الناس كلهم وقفة الاجلال والاكبار للحركة التي ربت فينا الفروسية والاباء والكرامة ثم ليطير خبر ذلك كله إلى شيخنا المجاهد في زنزانته لتشق نفسه وهو الواثق أن جنده قادرون على فعل ما أراد باذن الله وتأييده وليحني الجميع رؤوسهم طائعين أو مكرهين ولنفتح من بعدنا الباب في سنة حسنة على مر العصور والأيام على غير العادة رجعت إلى غزة مساء يوم الخميس ١٢/١٣ لترتب الأمر ما يلزمه في اللحظات الأخيرة وجلسنا نتفق على اللمسات الأخيرة كنت قد رتبت أمري في المخزن قبل عودتي أثناء النهار حيث كسرت لوحا من الاسبست حتى أتمكن من إشتدراج أحدهم في آخر المخزن يوم غد إن شاء الله تعالى إتفقنا على خطواتنا بالتفصيل وإفترقنا على يمن الله وبركاته على أمل اللقاء صباحا لتبدأ رحلتنا الأولى من نوعها والتي أملنا من عمق قلوبنا أن تكون طريقنا الفوري إلى جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر إستيقظت مع ساعات السحر ومع نسمات السحر الحالم بالمجد والنصر المؤزر والتأييد المبين كانت عقارب الساعة تشير للثالثة قبل الفجر فتحت عيناي وتلفت حولي لأتأكد أني قد صحوت فعلا ولست في رؤية نفضت الغطاء عني بعيدا وقفزت أتوضأ إستعدادا لليوم المبارك حدث عجيب تكرر معي طيلة عدة أيام مضت وحدث معي عند الصباح فتحت المصحف على غير قصد

مني أن أفتحه على شيء معين وفي كل مرة كما في هذا الصباح أجد أمامي سورة التوبة من بدايتها دون البسملة ، براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين وأقرأ من آياتها وأقرأ فأجد كل ما فيها يحرضني يقويني يشد من عزيمتي يدفعني للمزيد المزيد من القوة والعنف " قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " وتتردد الكلمات في جنبات قلبي وعقلي وروحي قاتلوهم قاتلوهم قاتلوهم يخزهم يخزهم يخزهم ينصركم ينصركم ويشف صدور قوم مؤمنين فأشعر وكأن جبريل عليه السلام يتنزل بالآيات للتو وللمناسبة يا الله ما هذه الأقدار وما هذه النواميس والموافقات العجيبة قرأت آيات سورة براءة فوجدتها تنتزع من صدري كل معاني الشفقة على قوم لا يستحقون شيئا بسيطا منها وجدت ربي يهتف بي " ألا تقاتلون قوما نكثوا إيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة " ، " أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين " يهتف بي " إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم " فهمت أن ذلك ليس من قبيل المصادفة بل هو قدر الله يؤيدني يصدقني يشد على يدي شعرت أني أخذت الموافقة والاقرار ليس من حركتي أو من قيادتي في الأرض فحسب ولكن من ربي في السماء قرأت كتاب ربي وشعرت بربي يحدثني عبر آيات كتابه العزيز ، أطبقت صفحات المصحف وقد أخذت ما أخذت وقمت واقفا بين يدي الله تعالى خاطبني ربي حين قرأت كتابه ووقعت

أخاطبه عبر صلاتي نويت أن أركع لله ركعتين ودعوت في سجودي شعرت معنى الاتصال الحقيقي بين قلبي الصغير الصغير وبين ربي قيوم السموات والأرض وهتفت ضارعا لا أذكر بأي عبارة طلبت ما طلبت ولكني هتفت ضارعا له أن يؤيدنا وأن يوفر لنا الصيد الوفير وأن يكرمنا بالشهادة في سبيله لنقضي يومنا مع النبيين والصديقين والشهداء في رياض الجنات لحظات في غاية الروعة ذقت فيها حلاوة الاتصال بالله تعالى وأحسست بربي يسمعني يسمع ذاتي يراني ساجدا ضارعا بذاك الدعاء فتمت صلاتي وأدرت عيناي في جنبات الغرفة التي لن أراها مرة أخرى ودعتها أدرت عيناي في أنحاء البيت الذي درجت فيه خطواتي الأولى وأكلت فيه لقمتي الأولى ونطقت كلمتي الأولى ودعت فيه بعيناي كل شيء ، ايقظت الوالدة لتغلق الباب خلفي أو لأراها للمرة الأخيرة ولأودع المدرسة التي ربت في كل شيء وشعرت بالكلمات تتدافع من فمي لأطلب منها أن تدعو لي لقد كنت في أمس الحاجة للدعاء خاصة من والدتي لكني دفعت الكلمات ودافعتها لتعود من حيث جاءت فقد خشيت أن يفضحني طلبي الدعاء فتحس الأم بقلب الأم ما وراء كلماتي كتمت مشاعري وسؤالي هكذا علمتني الحماس مدرستي وصانعتي واكتفيت بوداع العيون ودعتها بعيناي يا الله يا لقسوة الظرف لكن لا ضير فلنا لقاء إن شاء الله في جنات النعيم أيتها الأم الرؤوم وداعا وداعا وانطلقت لتغلق الباب خلفي إنتظرت مروان قريبا من السنافور قرابة الساعة والسنافور شامخ الرأس يودعني وأودعه لقد تلقنت

منه الدروس لم ينحني ولم يتزحزح ولم يتراجع وهو هو ثابت راسخ شامخ وطلع علي مروان بهيا مشرقا متوقدا كان علينا أن نبدأ رحلتنا من المسجد الذي ربى فينا الحماس وأشعل فينا الرجولة وأذابنا حبا في أرضنا الطاهرة المباركة وعشقا للموت والشهادة وصلينا الفجر ناولني إحدى السكينتين تفحصت سلاحي ووجدته جيدا أخفيتها في متاعي وأخفى سكينه في متاعه وانطلقنا لموقف السيارات نقضم الساندويتشات ونودع ثرى شارع صلاح الدين بذكرياته الرائعة التي عشنا كانت الساعة قد شارفت على السادسة عندما ركبنا سيارة المرسيدس التي انطلقت بنا برفقة مجموعة من أبناء شعبنا الكادحين في الأرض يسعون لتوفير الحليب لأطفالهم ولتسعى لتوفير المادة الأهم من الحليب لأولئك الأطفال ليتسنى لهم الحياة الحرة الكريمة ، بدأ إلى جواري مروان يقرأ أدعية الصباح المأثورات وأنا أودع بعيني كل شجرة وكل جدار وكل حبة رمل في الطريق وأتمتم ببعض الترانيم التي أحفظ منذ تفجرت الانتفاضة واستعرت نارها إهتم الأعداء باحتياطات الأمن في دخول اهلنا إلى أرضنا المحتلة منذ عام ١٩٤٨ فزادت إجراءاتهم عند نقطة التفتيش المسماة إيرز حيث التدقيق على اشده للداخل والخارج ولكن عين الله ترعانا ورعايته تكلؤنا فاجتزنا الحاجز بسلام واجتزنا حاجزا أخر في الطريق بأمان أيضا وصلنا قريبا من المخزن حيث أوقفنا السيارة بعد أن دفعنا كل ما في جيوبنا من نقود كانت أجرة سفرنا ذاهبين حيث لا لزوم لأجرة العودة

فلسنا نطمع فيها أو نفكر فيها مجرد تفكير بل نتمنى من أعماق القلوب ألا يكون ذلك لازما البتة سرنا حوالي خمس دقائق حتى وصلنا للمخزن كانت الساعة قد إقتربت من الساعة السابعة وجلسنا على الرصيف حيث أوضحت لمروان ما كنا قد إتفقنا عليه بالأمس على أرض الواقع حتى تأكدنا من إدراكنا لحقيقة الأدوار والمواقع كان صباحا مشرقا يبشر بالنجاح والتوفيق أمامنا كانت السيارات تقف وتتحرك ونحن نتضاحك ونبتسم ونتمنى أن يكون هذا من صيدنا وأن يكون ذاك عندما أشارت عقارب الساعة للثامنة إلا عشر دقائق وصل أحد العمال الذين يعملون في المصنع المجاور حيث فتح الباب ودخل يزاول عمله وينتظر قدره بعدها بلحظات وصل موشيه أوقف السيارة أمام المخزن ونزل منها يتمايل والأرض لا تكاد تحمله لم لا فهو واحد من أبناء الله وأحبائه المتفوقين حتى على حسب زعمهم ووقف إلى جوارنا يعقد يديه على صدره والكلمات تجر نفسها جرا من بين أسنانه بعده بقليل وصلت إيرس التي تعمل سكرتيرة في المخزن فتحت الباب ودخلت يدخل خلفها موشي وأنا ومروان ودخلت هي للمكتب وقت ساعة الصفر نظرت إلى مروان ونظر إلي وتلاقت عيوننا وتفاهمت العيون بلغتها على قرع جرس البدء إلتفت إلى موشي واخبرته عن الاسبست المكسور وطلبت منه أن يتبعني ليرى ذلك وساقته قدماه خلفي في أخر المخزن ممر طويل بين أكوام قطع الألمنيوم والرفوف التي تحملها في أخر الممر الممر لا يتسع لأكثر من واحد دخلت الممر ودخل

خلفي وانتظر مروان عند مدخله من أشرف إلى مكان الكسر نظر إليه ثم إستدار متمتما ببعض الكلمات وسار وسرت خلفه ، مروان في وجهه عند باب الممر وأنا خلفه ومن فوق كتفه لمعت عيوننا والتقت ودق الجرس مرة اخرى مشيرا للبدء إنتزعت السكين من تحت ثيابي لتستقر بين كتفيه مطبقا بيدي على فمه حتى لا يجمع علينا الدنيا بصراخه وانهال عليه مروان من الأمام طعنا في صدره وبطنه ورغم كفي المطبق على فمه سمعت صرخته ليرتمي في بركة دمه في لحظة خاطفة دار شريط الذكريات المؤلمة ساق الجد سمع الجدة آلاف الشهداء عشرات الاف المصابين أطنان قنابل الغاز عيون قارة وشرب القهوة والضحك والقهقهة ، الشيخ يقع على الأرض صارخا مسجدنا عظام أمهاتنا المكسرة بهروات المحتل المجرم والتفت نحو المكتب فاذا إيرس تطل برأسها لتنظر بحثا عن الصراخ رأتني أمامها والسكين في يدي تراجعت بذعر لتغلق الباب وتندفع نحو التليفون دفعت الباب بقوة فوقعت على الأرض خلف الباب حاولت أن تدافع برجلها لتستقر السكين في بطنها عظم أمهاتنا المكسر بهروات جنودكم أطفالنا في أرحام أمهاتهم يموتون بفعل غازاتكم السامة ، وتتالت الطعنات لتلفظ أنفاسها الأخيرة يبدو أن العامل في المصنع المجاور قد سمع صرخاتها فجاء لقدره دخل الباب سائلا ماذا حدث ؟! ففهم الجواب جيدا ثلاث طعنات متتالية في صدره من سكيني حيث وصل مروان ليكمل معه المشوار بطعنات أخرى أصابني سكين مروان بجرحين في كفة يدي ورسغي

سحبناه إلى داخل المخزن حيث قذف به مروان إلى قاع الملجأ كان دمه قد لطخ الأرض عند الباب وهذا مما يعيق عملنا عند قدوم جدد لذا وعلى الفور بدأنا في غسل الأرض بالماء لكنه ظل يلطخ الجدار رفعت سماعات التليفونات وأدرت مقص الألمنيوم كي يغطي على الصوت بدأ واضحا أن جروح يدي ستفرض علينا تغيير خطة عملنا فدمائي تنزف بغزارة ولا أستطيع إيقافها لست أدري كيف حدث ذلك حين قررنا مغادرة المكان كانت تلك تجربتنا الأولى في مثل هذا النوع من العمل ولعل ذلك كان السبب في قرارنا ذاك وبينما إستعد مروان لاغلاق الباب الخارجي كنت أنقش على حائط داخلي في المخزن بعلبة الطلاء السوداء كلمات كنا قد أعددناها قبل حضورنا ليلة الأمس وسجلناها كي لا تدعونا العجلة أو رهبة العمل لنسيانها أو الخطأ فيها — بسم الله الرحمن الرحيم / حماس مسئولة عن قتل اليهود أبناء الخنازير والقردة حماس / حماس تعلن مسئوليتها عن عملية القتل بمناسبة الانطلاقة الرابعة للحركة حماس / تحية إجلال وإكبار إلى شيخ الانتفاضة الشيخ أحمد ياسين حماس . وأغلقنا الباب وانطلقنا مبتعدين .

الفصل الرابع: ليل الزنازين طويل لقاء وأمل

سرت ومروان حتى موقف السيارات في منطقة أبو كبير الشهيرة وهناك كان علينا أن نفترق فمن الخطر أن نظل سويا بحيث إذا ضبط أحدنا ينجو الآخر لأنه من المؤكد أن الخبر سيصل إلى أجهزة أمن العدو ويبدأ في البحث عنا ، ركب مروان إحدى السيارات في الموقف التي إنطلقت به

وركبت أخرى إنطلقت بي بعد قليل في الطريق إلى غزة حيث يمكن هناك أن نتدبر أمورنا بالصورة اللازمة كانت تلك اللحظات هي آخر مرة أرى فيها الأخ مروان رفيق الدرب طيلة فترة زادت على السنة عشنا فيها الآلام والآمال عملنا سوية جنودا تحت راية الحماس ركبنا الخطر صارعنا الصعاب فرحنا كثيرا بتقدم مسيرة شعبنا عبر إنتفاضته المباركة وبكت القلوب أمام المواقف الصعبة التي مرت بقضيتنا مروان كان شريكي في مسيرة الدم والنار والدموع والابتسامات حتى الشرب والأكل والضحك إفترقنا فهل يا ترى نلتقي في هذه الدنيا ؟ على أي حال فأنا واثق أن لنا لقاء إن شاء الله تعالى إن لم يكن في الحياة الدنيا في جنات النعيم إخوانا على سرر متقابلين إنطلقت بي سيارة المرسيدس الأجرة تنهب الأرض ويدي غارقة في الدم النازف الذي بدأ يتجمع متجمدا في كيس النايلون الذي أدخلت يدي فيه لئلا يكشفني الدم المتدفق من جروح يدي التي تركتها سكين مروان لتظل شاهد إلتحام وذكرى للأخ المجاهد الذي لن تفارق صورته مخيلتي يدي غارقة في دمي في الكيس المتربع داخل جيبي والسيارة منطلقة وأنا غارق في الأفكار والذكريات شعور نشوة وفرحة كان يغمرني حيث اشعر أني أوفيت مما رأيته لازما على إتجاه حركتي في ذكرى إنطلاقتها وإتجاه إخوتي على إمتداد فلسطين الوطن الحبيب الطاهر وعلى إمتداد الوطن الاسلامي الكبير لترف قلوبهم حين تتلقى خبر هديتي لحركتهم في ذكرى الميلاد الرابعة وتجاه كل أبناء شعبي وقضيتي وأنا أحس

أني انتقمت بالقدر الذي استطعت لثاراتهم وجراحاتهم وعظامهم التي كسرت بهروات الظالمين وينازعني من شعور النشوة ذاك شعور مناقض يمزق قلبي ويقطع شرايينه بسبب شعور التقصير ثلاثة ثلاثة فقط ؟! لقد كانت أمنيتي أن يتجاوز العدد العشرة ثم أي مصيبة هذه ؟ هذا أنا عائد إلى غزة حتى ارزق أي مصيبة هذه؟ لقد حرمت شرف الشهادة لم يستجب دعائي في هذا الأمر وتواسيني صورة تلك الكلمات التي نقشتها بالطلاء الأسود على الجدار كانت تلك الكلمات في معناها حسب تقديري أقوى وأبلغ من قتل العشرة والعشرين كنت على ثقة قاطعة أن تلك الكلمات ستقطع قلوبهم غيظا وحقدا حين يكتشفون حقيقة أن يدنا قادرة على ذبحهم في عقر دارهم وبكل هدوء نفس وبأييد واثقة بنصر ربها وتأييده بل وقادرة على أن تنقش وفي قمة الهدوء والطمأنينة شعارات الحماس ويزيد في تخفيف تلك المشاعر ذاك الدم المتدفق الذي أغرق كفة يدي داخل الكيس وتلك الجروح التي كلمتها في سبيل الله هذا دمي ينهمر وهذا جرحي ينزف على قربان الجهاد والبذل فان حرمت الشهادة فهذا دمي قد سال للمرة الثانية وأنا أرفع راية الحق راية القرآن راية الحماس فالحمد لله أنه سال هذا الدم اثناء فترة خدمتي الالزامية في هذا الجيش المبارك وتحت راية هذه الكتيبة الغراء هذا دمي وهذه جروحي لا أشك أنها ستشهد لي يوم أقف أمام ربي أني تقدمت على درب الشهادة والجهاد وأديت الذي استطعت مما فرض علي حبي أن جروحي هذه ستأتي يوم القيامة مفتوحة كما هي

الأن والدم فيها أخضر لم يجف بعد لون الدم وريحه ريح المسك إن شاء الله تعالى وكفاني بذلك شهادة لي عند ربي إنتزعني من تلك المشاعر والأفكار توقف السيارة لأنتبه أننا نقط على بعد أمتار من نقطة التفتيش الدائمة في منطقة إيرز نظرت أمامي فاذا المنطقة مليئة بالجنود وبرجال المخابرات والتفتيش على السيارات العائدة على غزة على أشده إجراءات مكثفة وغير عادية تلك التي يمارسونها أدركت على الفور أن الأمر قد تم إكتشافه فلا بد أن أحدهم قد حضر للمخزن واكتشف ما حدث وأبلغ الشرطة السيارة تتقدم ببطيء لم يبق بيني وبين الجنود الذين يفتشون السيارات ويدققون في بطاقات وأشخاص الراكبين لم يبق بيني وبينهم سوى ثلاث سيارات بما فيها تلك التي يفتشونها ماذا علي أن أفعل ؟؟ وأمام هول الراكبين والسائق فتحت باب السيارة ونزلت مسرعا لاتحول على الطريق الأخر المتجه نحو الشمال أي إلى الداخل مرة أخرى !! لست أدري كيف حدث ذلك ولا كيف عمي عني الجنود لعل الله قد أخذ أبصارهم لأستقل إحدى السيارات الذاهبة إلى تل أبيب مرة أخرى وفي الاتجاه المعاكس إنطلقت بي السيارة الجديدة لتنهب الأرض من تحتنا وعلى جانب الطريق الذاهب إلى غزة بدأ الجنود يوقفون السيارات يفتشونها ويدققون في هويات راكبيها بحثا عن أشرف كان علي أن أفكر بسرعة وأن أتخذ القرار المصيري إلى أين أتجه ؟! لم يطل بي التفكير إلى الضفة الغربية فلن يخطر ببالهم أني هناك !! ولكن إلى أين ؟! حيث لا أعرف شيئا فلم يسبق لي

دخولها قبل اليوم إطلاقا إلى بيت خالتي ولكني لست أعرف مكانه إذا إلى مكان لا أعرفه ويعرفه الجميع جميع السائقين خاصة إلى معهد رام الله حيث يدرس أخي أدهم حيث يتدبر بالأمر وبعد أن طلبت من السائق أخذي إلى رام الله إنطلقت السيارة من تل أبيب نحو الشرق إلى الضفة الغربية في الطريق إنقلبت إلى سيارة ذاهبة إلى رام الله إنطلقت السيارة الأخرى ترى أين مروان الأن ؟ هل أفلت ونجح في الوصول إلى غزة ؟ أملي أن يكون كذلك فغزة هذه شيء أخر صغيرة بالنسبة لمساحتها ولكنها بئر ليس له قاع إن وصل مروان إلى غزة فستنشق الأرض وتبلعه ولن يضبطوه مهما كانت الأمور وهل أنجح أنا في الافلات أيضا ؟ لاشك أن الأمور هنا ستكون أكثر أمنا منها في الطريق إلى غزة إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا توقفت السيارة في وسط رام الله التي أدخلها للمرة الأولى لأركب سيارة أخرى إلى المعهد ، توقفت بي عند الباب الخارجي نزلت متقدما لغرفة الحارس عند الباب ويدي في الكيس والكيس في جيبي يا الله أي قانون هذا قانونكم ؟! لابد أن يسجل الداخل للمعهد إسمه ومن يريد زيارته في الداخل سجل إسمي ذلك كان خطئا كبيرا ولعله الأكبر في حياتي لكني لم أكن أدرك أن الأمور بهذه الخطورة ، ماذا حدث ؟ سأل والارتباك ظاهر على وجهه كانوا في تلك اللحظة يؤدون شعائر صلاة الجمعة أجبته عما حدث مختصرا ليجد نفسه أمام أضخم مشكلة رأها في حياته وظهرت الحيرة على وجهه شعور عجيب بالطمأنينة كان يسيطر علي وكأن الأمر لا

يعنيني دار أدهم في طرقات المعهد لا يدري ما يفعل وأنا خلفه لقد لاحظنا الكثيرون من طلبة المعهد وزائروه ماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟ وأخيرا طلب مني الجلوس في إحدى الغرف وذهب مغادرا !! طال الانتظار وأخيرا جاءني شاب عرفت إسمه فيما بعد دياب ولم أعرف شيء آخر رافقته إلى خارج المعهد لتنطلق بنا السيارة وبعد علاج سريع للجروح دخلت مرحلة جديدة من حياتي لذيذة رغم قسوتها وقسوة الحياة فيها فترة قاربت الشهرين قصيرة من فترة حياتي لكنها زاخرة حافلة بالمعاني بالآلام بالشوق واللذة في الصبر والمصابرة والعرفان لأناس حرموا أنفسهم النوم والراحة والطعام ليوفروا لي ، جميلة تلك المرحلة جميلة جميلة وحية وفياضة بالمعاني الانسانية الرائعة إنطلقت بي السيارة يغمرني شعور بالطمأنينة للسائق الذي يجلس إلى جواري لم أر وجهه قبل اليوم ولكني أحس أن قلبي يعرف قلبه جيدا لم أشعر بالغربة لحظة واحدة فقلوبنا متعارفة متآلفة متعانقة تحت راية الحماس السيارة تنطلق بي بسرعة في تلك الطرقات المتعرجة مرة تميل يمينا وأخرى يسارا في تلك الطرقات الجبلية التي أراها أول مرة ولا أعرف إتجاه السير وفي منطقة خالية عند أطراف رام الله توقفت السيارة عند بيت مهجور ونزلت يودعني دياب على أمل اللقاء في صباح الغد كان الظلام قد غمر الكون حين إنطلقت السيارة مغادرة بعد أن استقر بي المقام في مسكني الجديد في هذا المكان الخالي الذي لم تطئه قدمي من قبل عن بعد شموخ الجبال المكسوة بأشجار الزيتون

المباركة التي كساها الظلام في هذا الجو الشاعري تطيب للمرء الأفكار والذكريات ولكن يطيب له أكثر أن يغلبه النوم بعد يوم طويل وشاق وحافل ومع ساعات الصباح الباكرة إنطلقت السيارة مرة أخرى في إتجاه جديد لأجد نفسي في مسجد البيرة إنتظرت فيه حتى بعد الظهر لتنطلق السيارة في إتجاه جديد بين الجبال والوديان وأشجار الزيتون إلى قرية عرفت إسمها فيما بعد دير غسانة عشت فيها الفترة الأطول من تجربتي هذه طريدا متحفزا مطمئنا إلى خيرة الله في قضائه لي وبين صخور دير غسانة وزيتونها وبيوتها النائية ومسجدها الحنون عشت حياتي تلك فترة قاربت الأربعين يوما ذقت فيها معاني الصبر والمصابرة رأيت فيها عين الله تحرسني وترعاني حين يقف جنود المحتل على بعد عشرين سنتيمترا عني هي سمك الجدار يمشطون بحثا عني أو عن أمثالي الكثيرين المطلوبين لقوات الاحتلال ولمست فيها معنى الحب الكبير لفلسطين القدس والأرض والزيتون بالفلسطين الشعب والأهل والراية رأيت فيها الحب القدس في العيون التي سهرت على راحتي طويلا والتي ركبت الخطر لتوصل لي لقمة العيش طرية هانئة بالله جميلة تلك الأيام رغم قسوتها وعظماء وكرماء أوفياء شيء آخر آخر تماما لا توفيهم الكلمات فهي كانت حقهم أولئك الأحبة الذين رأيت الحب الطهر الحماس الزيتون القدس والتحرير والجنة في عيونهم وجميلة ذكريات تلك الأيام وعزيزة ولابد من تسجيلها وإن كانت لابد سجلت في كتب أخرى خالدة لا

تنمحي عند رب العالمين في كتاب مرقوم بالأسماء والأرقام والتفصيلات ، يالله أي عظمة وروعة وبهاء جميلة وقاسية وحافلة ذكريات تلك الأيام في أحد تلك الأيام حلقت طائرة عمودية في المكان كان واضحا أنها تفتش عني أو عن أمثالي ودوت أصوات السيارات العسكرية في المكان وتعالت أصوات الجنود كان علي أن أختفي سريعا ولكن أين أختفي ؟ وفجأة بدأوا باطلاق نيران بنادقهم بغزارة فهل جانت ساعة الصفر ماذا ينتظرني في الساعة القادمة ؟ وفجأة كأنه لم يكن شيء حلقت الطائرة بعيدا وانصرفت آليات العدو وعلى بعد مئات الأمتار فقط كانوا قد إعتقلوا أحد المطاردين الذين يختفون في تلك المنطقة بعد أن عصف رصاص الطائرة بالسيارة التي كانت تنقله وزميله فتدحرجت السيارة على جانب الطريق بعد أن أخذوا المصابين ولعل الذي كان يزيد الوضع صعوبة وقسوة أن ذلك جاء في فترة فرض فيها منع التجول على الضفة وغزة كاملتين إذ تزامن ذلك مع حرب الخليج حيث عشت كباقي إخواني وأهلي قسوة تلك الأيام في إحدى المرات إرتفع حظر التجول ساعة ليخرج الأهالي يتزودون بما يلزمهم من تموين فاذا قضيتي وتمويني وراحتي هي قبل قضيتهم الأولى قبل أطفالهم قبل أنفسهم أي أحبة هؤلاء وأي رابطة هذه رابطة الأخوة في الله تحت راية الحماس إنتقلت إلى رام الله لأستقر في بيت الأخ الكريم يحي نمر لم أعرفه من قبل ولكن سرعان ما ألفته فقد وجدت قلبي يعرفه جيدا أذكره وهو يترنم بآيات سورة مريم يحاول حفظها عشت

أيات جميلة عنده في البيت كان كثيرا ما يتركني وحيدا ليخرج إلى ورشة عمله (المحددة) ذقت في أحضانه بيت الأخ يحي الراحة والطمأنينة والحنان والدفء كان من المستحيل أن أدخل غزة في تلك الفترة فغزة تحت نظام منع التجول منذ ما يزيد على أربعين يوما ولاشك أن دخولها يعني وضع رأسي بين فكي الوحش الانتقال إلى غزة يعني الكثير والوسائل فيها كثيرة ولاشك أن إخواني هناك يمتلكون الوسائل الكثيرة التي تمكني من تحديد وجهتي الجديدة بوضوح ورؤية أيسر تلك الخيارات أن أغادر بواحدة من تلك الوسائل العديدة إلى مصر عبر الحدود لأجد طريقي هناك للمواصلة بأساليب ووسائل أخرى ، جن جنونه العدو وطارت عقولهم من وقع الحدث وبدأت إذاعتهم تنقل الأخبار المتتالية عن ضربة قاصمة حسب تعبيرهم للحركة وكل من يفترض أن له بها أدنى علاقة وبدأ رقم عدد المعتقلين يرتفع تدريجيا ليصل خلال يومين أو ثلاثة إلى ألف وستمائة معتقل كان واضحا من طريقة معالجتهم للأمر وطبيعة إعتقالاتهم أنها حملة مسعورة ومحمومة بفعل الوقع المذهل للحادث على نفوسهم وأنهم بذلك التهويل المقصود يريدون أن يمتصوا بهجة وعظمة تلك العملية الفذة التي أطارت عقولهم وتعالت التصريحات المحمومة من بين أسنان زعماء الكيان المسخ بالتهديد والوعيد لحماس وقادتها وبينما كان فارسنا ينتقل من مأوى إلى آخر كانوا قد إعتقلوا أخوه أدهم من المعهد عند صباح اليوم التالي السبت وتتوالى الاعتقالات والتحقيقات " ويقضي الله أمرا

وينفذ قدره بالخير دون شك فيتدلوا من خلال تحقيقاتهم وإستخباراتهم على مأوى فارسنا الأخير في بيت الأخ يحي بعد أن يعتقلوا الأخ دياب بعد حوالي أسبوع من نزوله فيه لتبدأ مرحلة أخرى من حياة الفارس داهم البيت مئات الجنود لينقل الفارس مقيد اليدين والرجلين معصوب العينين من سيارة إلى سيارة ومن سجن إلى سجن ومن تحقيق إلى تحقيق ومن مكتب إلى مكتب وتتوالى القيود على معصمه وأكياس الشادر على رأسه والأقفال على باب زنزانته والسجانون يحرسونها من بعد عيونهم تكاد تحرقه غيظا ولا تجرؤ على الاقتراب منه ليعيش فترة التحقيق التي قاربت ثلاثة أشهر عاش مثله فيها عشرات الآلاف من أبناء شعبنا المجاهد في أقبية التحقيق والزنازين إلى سجن رام الله إلى سجن عسقلان فالى سجن غزة ثم إلى عسقلان ثم إلى أبو كبير إلى حلوان إلى أبو كبير ويمثل الفارس شامخ الرأس شموخ السنافور أو نخلات المنتزه وزيادة أمام محكمة العدو لتصدر بحقه حكمها بالسجن المؤبد ثلاث مرات وقد إحتفظت النيابة بحقها في الاستئناف في حال إقرار الحكومة القرار بالاعدام فيما بعد لينتقل أخيرا إلى واحدة من قلاع الصمود والصبر والمرابطة إلى سجن الرملة حيث يربض فارسا صامدا محتسبا مرابطا في القسم الخاص الذي أعدوه لاخوانه من قبل قسم العزل حماس سجن الرملة حيث يبدأ رحلة جديدة مع حياة جديدة وبين أخوة جدد سمع القليل عنهم من قبل وتمنى أن يتعرف عليهم فجاء ليعرف الكثير عنهم وعن حركته

ليعيش معهم الآلام والآمال والابتسام للغد المشرق القادم براية التحرير خفاقة عالية البنود واثق واثق بنصر الله القريب القريب وعد الله لا يخلف الله وعده وليلتقي مرة أخرى مع الوالدة الحنونة على شباك الزيارة وسط إبتسامات الأمل والعزة والافتخار والذكريات بأشرف الصغير مسلم النقود التي قبضها أول مرة في حياته نتاج أول عرق بذله في حياته ليثق الجميع أن للعرق نتاج لا محالة وإن بدا ذلك للعمي أو قصيري النظر بعيد ولتلملم الأم المدرسة ثيابها وبسماتها ودموعها إن صح أن نذكر الدموع ترحل عائدة إلى السنافور تبلغه السلام من أشرف تتلقنه الدرس الذي لابد أن يفهمه جيدا من تلميذه الصغير حيث لا يكفي الصمود والشموخ والوقوف في المكان فلا بد من التقدم في كل يوم خطوة .

الخاتمة : إعتذار أخير

وقد أبى الله عز وجل ألا يميط اللثام عن فلا ضير أن أسطر كلماتي الأخيرة .

مرة أخرى يشرفني أن أسطر هذه الحلقة من ملحمة فرسان الحماس إعتذار أشد الاعتذار أولا: لأستاذ الفرسان ورائدهم فلا شك أني قصرت في أداء واجبي إتجاهه ، ثانيا: لكل جند كتيبة الفرسان فقد لا أكون عبرت عن مشاعرهم وأحاسيسهم وأفكارهم فلا شك أن قلمي أعجز من ذلك ، ثالثا: أعتذر للفارس أشرف أبو حمزة الذي كتبت عنه ما كتبت رغما عنه وهو يحاورني حتى اللحظة الأخيرة محاولا أن يثنيني عن الكتابة خشية أن ينقصه ذلك شيئا من أجره

عند ربه وشعورا بالتقصير في دينه ووطنه وأمته ولأني دون شك لم أستطع ولن ... أن أعبر عن تلك المعاني والمشاعر العظيمة التي تقدم لينعشها فارسنا الحبيب على وجه التاريخ والمرحلة .

وأخيرا أعتذر للفارس الحبيب مروان الذي أمل أن ألقاه قريبا تحت الراية الربانية الغراء راية الحماس في ساحات الشرف والكرامة لأسطر له حلقة خاصة أخرى من حلقات الفرسان إن شاء الله رب العالمين ، ولكل الفرسان كل حب وتحية ودعاء .

سجن الرملة قسم العزل حماس ١٩٩١/٦/٩ الثانية بعد منتصف الليل .

أخوكم أبو إبراهيم.

البطاقة الشخصية للفارس

الاسم : أشرف حسن يوسف البلوجي
الكنية : أبو حمزة
تاريخ الميلاد : ١٩٧٢/٢/١٧
العنوان القديم : غزة التفاح ــ المزلقان
العنوان الحالي : سجن الرملة قسم العزل حماس
العمر في الحركة : سنتان
المؤهل الدراسي : ثاني ثانوي منزلي ــ سنة أولى سجن
الحكم : ٣ مؤبدات
المهنة : طالب ــ عامل
البلدة الأصلية : بئر السبع
الاسم الحركي سابقا : لا يوجد

الشخصية الأكثر أثرا في حياتك : الشيخ أحمد ياسين مع أني لم ألقاه مرة واحدة
أمنيتك : الشهادة في سبيل الله أسمى أمانينا
شعارك في الحياة : إحرص على الموت توهب لك الحياة
نصيحتك لأبناء جيلك : الذبح الذبح فهو الطريق الوحيد مع القرآن

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

הספריה הלאומית
S 95 B 9137

السنوار، يحيى،
شرف البعلوجي /

C.1

29808-10

FAM

2 020000 048572 0

المؤلف في سطور...

من خلف القضبان

يحيى ابراهيم حسن السنوار ....

- مواليد ١٩٦٢ - من مخيم خان يونس - البلدة الأصلية: المجدل عسقلان ....

- أنهى الثانوية العامة من مدرسة خان يونس الثانوية للبنين ....

- إلتحق بالجامعة الإسلامية بغزة - كلية العلوم ....

- بعد عام حوّل إلى كلية الآداب - لغة عربية ليتم إمكانية التفرغ فيه للعمل الدعوي والدراسة .... كان من مؤسسي الكتلة الإسلامية بالجامعة.

- تم إنتخابه في مجلس طلبة الجامعة الإسلامية أربع مرات على التوالي

- لجنة فنية - لجنة رياضية - رئيس - نائب رئيس ....

- اعتقل عدة مرات أولها كانت عام ١٩٨٤ عند زيارته مع إخوانه في المجلس الطالبات المعتصمات في جنين ....

- اعتقل منذ بداية الانتفاضة وتبين فيما بعد أنه مؤسس الجناح العسكري لحماس - كتائب عز الدين القسام - وحكم عليه بالسجن المؤبد ٤٠ سنة ....

- تنقل في عدة سجون - غزة المركزي - المجدل - عسقلان الرملة - عسقلان السبع ....

- وأصدر حكم عليه مؤخراً بمدة ٤٦ سنة ....

* * * * * * * *